بسم الله الرحمن الرحيم

تم رفع هذه المادة العلمية من طرف أخوكم في الله: خادم العلم والمعرفة (الأسد الجريح) بن عيسى قرمزلي. ولاية المدية

الجنسية جزائرية

الديانة مسلم

موقعي المكتبة الإلكترونية لخادم العلم والمعرفة للنشر المجاني للرسائل والبحوث على

www.Theses-dz.com

للتواصل: رقم هاتف 00213771087969

البريد الإلكتروني: benaissa.inf@gmail.com

حسابي على الفيسبوك: www.facebook.com/Theses.dz

جروبي: https://www.facebook.com/groups/Theses.dz

تويتر https://twitter.com@Theses_DZ

الخدمات المدفوعة

01- أطلب نسخة من مكتبتي



السعة: 2000 جيقا أي 2 تيرا !

فيها تقريبا كل التخصصات

أكثر من 80.000 رسالة وأطروحة وبحث علمي

أكثر من 600.000 وثيقة علمية (كتاب، مقالة، ملتقى، ومخطوطة...)

المكتبة مع الهرديسك بالدينار الجزائري 50.000.00 دج

المكتبة مع الهرديسك بالدولار: 500 دولار .

المكتبة مع الهرديسك بالأورو: 450 أورو

02-نوفر رسائل الأردن كاملة 20 دولار للرسالة الواحدة على https://jutheses.ju.edu.jo/default2.aspx

لا تنسوني بدعوة صالحة بظهر الغيب: ردد معي 10 سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

اللهم صل وسلم على نبينا محمد .... بن عيسى قرمزلي 2016.

جامعة الجزائر

معهد اللغة والادب العربي

رؤية الشاعر الجاهلي للحياة من خلال رمز الطلل

٥٠٦٣٨٦

بحث لنيل شهادة :

الماجستير

اعد البحث :

الامين محمد الصغير

اشرف عليه :

د. محمد مصايف

1984 - 1983

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مما لاشك فيه ان أدبنا العربي في مختلف مراحله وعصوره، يستمد روحه وطبيعته من الشعر الجاهلي ، فهذا الشعر هو المنبع الأول لادبنا ولغتنا التى نتخاطب بها حتى الآن ،وربما كان هذا هو السبب الاول لاختيار موضوع هذا البحث . وقد رأينا ان أهم جزء في القصيدة الجاهلية ،ان جاز لنا تجزئتها ،هو المقدمة الطللية . وربما كان هذا السبب الثاني لاختيار هذا الموضوع بالذات.

ولم يخصص بحث ،فيما نعلم ،لهذه الظاهرة اتبع فيه صاحبه المنهج الذي سار عليه هذا البحث ،وقد نستثني من هذا التعميم بعض المقالات التي كتبت هنا وهناك ،والتي أشرنا اليها في مواضعها من هذا البحث ،او بعض الاشارات العابرة نجدها أحيانا في فصل من كتاب .

ولعل من أهم الصعوبات التي تواجه الباحث في مثل هذا الموضوع انه يتحتم عليه .استقراء هذه الظاهرة في كل القصائد الجاهلية التي يمكن الحصول عليها ،والاطلاع ما امكن - على ما كتب حول الموضوع قديما وحديثا ،وهذا وحده يكلف الباحث جهدا غير قليل .

وقد اتبعنا في هذا البحث منهجا يعتمد على امرين أساسيين:

أولهما : الرجوع الى النص ،ومحاولة الاستنتاج منه ما استطعنا الى ذلك سبيلا .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثانيهما : محاولة ربط الصور بما كان شائعا في المجتمع الجاهلي من أساطير وقصص من جهة ، وبالتقاليد الفنية للشعر الجاهلي من جهة أخرى .

ويتألف هذا البحث من تمهيد وستة فصول . وقد استعرضنا في التمهيد بعض آراء النقاد المتقدمين والمتأخرين في ظاهرة الوقوف على الاطلال في الشعر الجاهلي ، وقد رجحنا ان مشكلة المصير كانت من أهم البواعث على ذلك .

وقد لاحظنا ، في الفصل الأول ان كثير من الشعراء يشبه الاثافي اما بالنوق واما بالحمام ، وقد حاولنا تفسير ذلك .

وهناك بعض الشعراء شبهوا الطلل بالكتابة ، او الوشم ، او الثياب المنمقة ، او غمد السيف ، وكانت هذه الصور توحي باشياء ، منها ما ينتمي الى الماضي ، ومنها ما ينتمي الى الحاضر او المستقبل ، وكانت هذه الصور كلها مستمدة من آثار الانسان ، ومن خلال هذه الصور رأينا ان الشاعر يعبر بذلك عن انتمائه الى الحضارة الانسانية . وكانت هذه الصور هي محور الفصل الثاني .

ويكاد يتفق معظم الشعراء ، اثناء وقوفهم على الاطلال ، على ان يبعثوا فيها نوعا من الحياة ، يتمثل في انزال المطر ، وابراز الخصب التي ينتج عنه من نبات وحيوان . وكان هذا موضوع الفصل الثالث .

ومن خلال تشبيه الشعراء للمرأة ، لاحظنا ان هذه الصور ليست غريبة عن عالم الطلل ، بل ان الحيوانات التي تشبهت بها المرأة او شبهت المرأة بها ، نجد صورها ماثلة في الطلل ، وكانت هذه الفكرة هي محور الفصل الرابع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد رأينا في الفصل الخامس ان الرحلة ،عند كثير من الشعراء تبدأ بعد الوقوف على الطلل ،وأن الصراع الدائر فيه يتخلل الرحلة أيضا . وبهذا يتضح ان الرحلة جزء من الطلل .

وأخير رأينا ان نعقد فصلا سادسا نتحدث فيه عن الصور التي وردت في هذا البحث من حيث تطورها وتنوعها بين الشعراء المتقدمين منهم والمتأخرين .

هذا ونتمنى ان يكون هذا البحث نواة صالحة لبحوث تالية .

والله الموفق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمهيـــــــد

ان أهم ظاهرة في الشعر القديم شغلت بال النقاد القدماء والمحدثين معا هي ظاهرة المقدمات للقصيدة الجاهلية . والتزام الشعراء الجاهليين في معظم قصائدهم بهذه المقدمات ، جعل النقاد القدماء لا يستسيغون ان يروا قصيدة تخلو منها ، فهذا ابن رشيق مثلا يقول في هذا النوع الأخير من القصائد :" من الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب ، بل يهجم على ما يريده مكافحة ، ويتناوله مصافحة ، وذلك عندهم هو : الوثب ، والبتر ، والقطع ، والكسع ، والاقتضاب ، كل ذلك يقال ، والقصيدة اذا كانت على تلك الحال بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء ".(1)

وكان القدماء يسمون مثل هذه القصائد باسماء تدل على عدم رضاهم عنها . وقد رأي بعض النقاد في مثل هذه القصائد احتمالين : فهي اما ان تكون مقدماتها قد ضاعت ضمن الشعر الذي لم يصل الينا ، واما أن يكون ذلك ثورة من بعض الشعراء على التقاليد الفنية التي حرمتهم من لذة الابداع والابتكار .(2)

وقد لاحظ بعض النقاد القدماء أن معظم شعر الرثاء يخلو ،

---

1) ابن رشيق : العمدة ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل بيروت ، ط : 4 . 1972 . ج 1 ص : 232 .

2) انظر حسين عطوان . مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف . مصر 1970 ، ص : 80 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أو يكاد ،من هذا التقليد . وقد حاولوا تفسير ذلك بان الشعر الذي يتحدث عن الموت لا ينبغي ان يبدأ بمثل هذه المقدمات ، التي رأو ، فيما يظهر ، انها لا تخلو من الحديث عن المرأة والحب، حتى انهم شكوا في صحة مقدمات القصائد الرثائية التي وصلتنا من العصر الجاهلي .(1)

ويبدو ان هؤلاء الشعراء عندما كانوا يقفون على الاطلال، وهي أهم مقدمة في القصيدة الجاهلية كانوا يتأملون في مصير الانسان والشاعر الذي يرثي كان يواجه هذا المصير من خلال الميت الذى يرثيه ، والذي يشترك معه في هذا المصير ، وليس هناك تأمل أعمق من أن يرى رفيقا له في الحياة يسلك طريقا سيسلكه حتما في يوم من الايام .

وقد اصبحت هذه المقدمات تقليدا فنيا يعسر على معظم الشعراء الجاهليين أن يتخلوا عنه ،وهو ما يجعلنا نعتبر خلو قصائد الشعراء الصعاليك من هذه المقدمات ، دليلا على تخلي هؤلاء الشعراء عن التقاليد الفنية الجاهلية ، وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين الى ان بعض الصعاليك لم يتخلوا نهائيا عن تقليد بعض النماذج الفنية من الشعر القبلي ، وان كانوا قد تخلصوا من المقدمات الطللية .(2)

واذا كنا نرى ان الوقوف على الطلل هو تأمل في مصير الانسان

---

1) انظر ابن رشيق ، العمدة ،ج:2،ص:151 وما بعدها .

2) انظر يوسف خليف الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف مصر ،ط/2 . 1966 ،ص: 267 ولا بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فان تحدي الشعراء الصعاليك للموت قد يكون سببا في تخليهم عن المقدمة الطللية فلا يمكن للصعلوك الذي تصدى للموت ان يجزع منه . وربما كانت طبيعة حياتهم التي لا تكاد تفرغ لمثل هذا التأمل هي السبب ، فالذي يتوقع الموت في كل لحظة لا يجد وقتا كافيا للتأمل فيه .

ويظهر ان أقدم ناقد تحدث عن المقدمة الطللية باسهاب هو ابن قتيبة ، فقد حاول ان يربطها بالبيئة الاجتماعية ،كما حاول ان يجد لها نوعا من التفسير ،يقول ابن قتيبة :" وسمعت بعض أهل الادب يذكر أن مقصد القصيد انما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والاثار ،فبكى وشكا ،وخاطب الربع ،واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين (عنها) ،اذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ،لانتقالهم من ماء الى ماء ،وانتجاعهم الكلاء ،وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ،فشكا شدة الوجد وألم الفراق، وفرط الصبابة والشوق ، ليميل نحوه القلوب ،ويصرف اليه الوجوه ويستدعي (به) اصغاء الاسماع (اليه) لان التشبيب قريب من النفوس ، لائط بالقلوب ". (1)

---

1) ابن قتيبة الشعر والشعراء ،نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت 1964 ج:1 . ص: 20 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يدل كلام ابن قتيبة على ان الوقوف على الاطلال ناتج عن حياة الشاعر البدوي الذي لا يكاد يستقر بمكان الا ارتحل عنه ، وان الغزل الذي يلي هذه المقدمة تعمده الشاعر ليستميل اليه النفوس ، لان الانسان جبل على حب الاستماع الى مثل هذا الحديث .

ولم يكتف ابن قتيبة بهذا ،بل اراد ان يستنبط من هذا التقليد قاعدة فنية لا ينبغي للشاعر المجيد ان يخرج عنها ،(1)

فقال ": وليس لمتأخر الشعراء ان يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام ،فيقف على منزل عامر ،او يبكي عند مشيد البنيان ،لان المتقدمين وقفوا على المنزل الداثر والرسم العافي"(2)

ولكن بعض النقاد المحدثين يرى " ان ابن قتيبة لا يرفض أن يبكي المحدثون على الاطلال كما بكى القدماء ،وانما الذي يرفضه هو " الحداثة " الفارغة التي ترى ان مجرد استبدال واقع حرفي بواقع آخر هو (العصرية) ."(3)

ولعل تشدد القدماء في احتذاء التقاليد الغنية القديمة هو الذي جهل أبا نواس يسخر من القديم ،ويسفه من يقف على الطلل ، وما يتضمنه من حجارة ووتد . وقد بالغ أبو نواس في ذلك

---

1) عز الدين اسماعيل ،مجلة الشعر . العدد الثاني ،السنة الاولى فبراير 1964 ، ص : 5 .

2) ابن قتيبة . الشعر والشعراء . ج 1 . ص : 22 .

3) محمود الربيعي ،نصوص من النقد العربي ،دار المعارف مصر 1976 ، ص : 23 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حتى " أفقد الرموز من حجر ووتد قدرتهما على الايحاء " ، وسخف الذين يبكون الحجر ، ويصبون الى وتد بدلالتيهما على وجه الحقيقة وما هناك أحد يصبو الى وتد، ويبكي على حجر، ولكن أبا نواس حين أراد ان يسخر من القديم أفقد الالفاظ ايحاءاتها الرمزية ". (1)

وقد حاول بعض الباحثين المحدثين تفسير ظاهرة المقدمة الطللية تفسيرا جديدا ، ويبدو ان سهير القلماوي كانت من أوائل من كتب في الموضوع . تقول الكاتبة : " ان هذه الوقفة عند الشعراء الجاهليين خاصة فيها كل الصرخة المتمردة اليائسة أمام هذه الحقيقة التي فجرت الكثير من الفن ".. حقيقة الموت والفناء .") (2)

وقد كتب المستشرق الالماني " فالتربراونه " حول الموضوع، فرأى ان المقدمات بجميع أنواعها هي نوع من التفكير الوجودي . يقول : " ان الانسان في كل زمان ومكان يسأل عن وجوده ومصيره ونهايته وبصفة خاصة كان هذا السؤال يؤلم الشاعر الجاهلي ويضايقه فطالما ردد عبارات (عفت الديار ، درست الدمن ، امحت الرسوم والحياة تفنى تحت جبر القضاء وظلم المنية ، الموت قريب ، تحت صروف الدهر الماضي وما أرهب الحياة ، ان وجود الانسان تخيم عليه تجربة التناهي المحقق) فهل ستكون حياته مثل الديار: تطفح بالحركة والحياة يوم ان يكون أهلها في ربعها ، ثم تتحول

---

1) احسان عباس فن الشعر . نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت (بدون تاريخ) ص : 238 . وما بعدها .

2) سهير القلماوي ، مجلة الكاتب (المصرية) العدد الثاني اول ماي 1961 . ص : 34 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى قفار موحشة يخيم عليها السكون والموت "(1).

وقد تابعه في هذا الرأي باحث آخر، فراي " ان هذا النسيب كان تعبيرا يجسم لنا ارتداد الشاعر الى نفسه وخلوه اليها، وهو بذلك يعد الجزء الذاتي في القصيدة الذي يعبر فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والكون حوله. فصورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تنطوي في نفسه على عناصر خفيه أحسها الشاعر احساسا مبهما، وقدر موقفه منها، وربما كان من أبرز هذه العناصر الخفية التي اصطدم بها مع ذلك حسه " التناقض " اللاتناهي " والفناء " ومن أجل هذا، وفي اطار هذا الاحساس، لم يكن الشاعر ليشعر باي اطمئنان ازاء الحياة، فلم تكن هناك نظرية واضحة تفسر له هذه العناصر الحيوية المختلفة، وتشيع في نفسه شيئا من الراحة والطمأنينة كما حدث بعد ظهور الاسلام ". (2)

وكتب بعضهم حول هذا الموضوع، فقال: " لم تكن مقدمة القصيدة الجاهلية - في حقيقة أمرها - أكثر من فرصة أتاحتها التقاليد الفنية الموروثة، ليتخفف فيها الشعراء من الالتزامات القبلية التي يفرضها عليهم (العقد الفني) بينهم وبين قبائلهم ويفرغوا للتعبير عن ذواتهم وشخصياتهم في محاولة جاهدة لتحقيق

---

1) حسين عطوان: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي، ص: 217.
نقلا عن مجلة " المعرفة السورية، السنة الثانية، العدد الرابع 1963.
2) عز الدين اسماعيل، مجلة الشعر (المصرية) العدد الثاني، السنة الاولى، فبراير 1964. ص: 7.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجودهم الضائع في زحمة هذه الالتزامات ". (1)

وأكد هذا الرأي باحث أخر ، فرأي ان البكاء على الاطلال هو :" لحظة حزينة أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي اليها بالحرمان من الوطن المكاني ، وبالحنين الى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه ان يقيم بيتا ، يخلد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه ."(2)

قد يكون لكل رأي من هذه الآراء نصيب من الصحة ، فالبيئة الاجتماعية لا ينكر أثرها في عطية الابداع . وخصوصية أي مجتمع لا يمكن اغفالها أيضا ، فطابع أي فن من الفنون عند مجتمع ما يختلف قليلا او كثيرا عن مجتمع أخر . كما لا يمكن أن تنكر الصبغة الفردية بين شاعر وآخر ، ولكن هذه الظاهرة التي شغلت بال النقاد القدماء والمحدثين معا ، والتي لم يستطع الشعراء القدماء حتى عصر شوقي والبارودي وامثالهما ، أن يتخلصوا منها لا يمكن ان تفسر تفسيرا لائقا بها الا اذا اعطيناها بعدا انسانيا . وان الحيز الذي احتلته في ميدان الشعر والنقد في مختلف العصور لكافية لأن تجعلنا نميل الى هذا التفسير .

---

1) يوسف خليف : مجلة ، المجلة ، العدد 100 ، السنة التاسعة افريل 1965 ، ص: 35 .

2) القيسي : الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الاشاد للطباعة والنشر بيروت ، ط/1 ، 1970 . ص : 404 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وربما وجد أحدنا دليلا على صحة هذا التفسير في كون الشاعر القديم عندما يرثي أحدا ما يعطي الانطباع بأنه يرثي الانسان في كل مجتمع ، وفي كل عصر ، مما يضفي على حزنه بعد أنسانيا عميقا ويؤكد - في الوقت ذاته - أن الانسان والطلل بالنسبة الى هذا الشاعر انما هما شيء واحد . ولعل في قول لبيد بن ربيعة : (1)

وما الناس الا كالديار وأهلها   بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

ما يرجح التفسير الآنف الذكر ،ويجعل هذا المدخل توطئة ضرورية للفصول التالية .

---

1) ديوان لبيد ، دار صادر بيروت . 1966. ص : 88 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول

رؤية الشاعر للطلل

من خلال الحيوان

٢٨٤٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ليس غريبا ان يشبه الشاعر الجاهلي حيوانا بحيوان ، في لونه ، او سرعته ،او اي حالة أخرى من حالاته ،فالشعر الجاهلي حافل بمثل هذه التشبيهات ،ولا تكاد تخلو معظم القصائد الجاهلية من هذا النوع ،ولكن الغريب حقا ، ان يشبه الشاعر طللا صامتا بحيوان واكثر من هذا ان الشاعر اختار لهذا التشبيه انواعا من الحيوان لا تتجاوز الثلاثة ، لماذا شبه الشاعر الطلل الصامت بالحيوان ؟ ولماذا اختار لهذه الصورة حيوانات دون أخرى؟ قد يكون الشاعر ، عندما شبه الطلل بالحيوان انما اراد ان يتغلب على الوحشة التي تثيرها في احساسه فكرة الطلل ، هذه الوحشة التي تذكره ، فيما تذكر ، بالموت والفناء ، فاراد بذلك ان يبعث في هذا الطلل حياة جديدة ينفي بها ذلك الاحساس من خلال هذا الحيوان او ذاك .

أما لماذا اختار حيوانات دون أخرى ،فان الشعراء ،فيما يبدو كانوا يرمزون الى أشياء من خلال صور هذا الحيوان ،ومعنى هذا ان بعض الحيوانات عند الشاعر القديم كانت ترمز الى اشياء مختلفة .

وقد تكون بعض الحيوانات أخذت رمزيتها من بعض المعتقدات القديمة عند العرب ، فهناك قصص وأساطير كثيرة حول بعض الحيوانات كانت متداولة بينهم آنذاك ." وللرمزية عراقة في التفكير الانساني وتاريخ طويل ، يلوح منه شيء في الرموز التي تعاطاها العرب ،وحفلت بها كتب الاخبار والادب . فلم يخل الامر عندهم من تمثيل المعاني بالصور المشخصة وتجسيد الافكار في المحسوسات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كالذي ذهبوا اليه في الثعلب والكلب والحرباء والفراشة حيث جعلوها رموزا للخداع والوفاء والتقلب والطيش على التعاقب ."(1)

واذا تأملنا صور الحيوان التي شبه الشاعر بها الطلل وجدنا ان هذه الصور لا تنطبق ، في أغلب الاحيان ،تماما ، على المشبه ولهذا نستطيع ان نؤكد ان هذه الصور لم تكن عند الشاعر مجرد رسم لواقع محسوس ، وبعبارة أوضح لم يكن الشبه بين الصورة وما يقابلها في الواقع هو سبب هذا التشبيه فحسب ،وانما كانت هذه الصورة معرضا لافكار الشاعر وأحاسيسه .

ان الطلل جزء من العالم الخيالي للشاعر ،وان محتويات هذا الطلل لم تعد ، في مفهومه أشياء مادية تدل فقط على ان هذا المكان أثر لاناس تركوه وارتحلوا عنه ،وانما اصبحت هذه المحتويات رموزا يستعيرها الشاعر للتعبير عن معان نفسية، فالاثافي مثلا لم تعد في مفهوم الجاهلي ، على الاقل تلك الحجارة التي توضع عليها القدر ، او تلك التي سفعتها النار فتركت عليها أثرا من سواد ، وان كان الشاعر يذكر ذلك أحيانا ،وانما اصبحت فكرة يعبر بها عن الثبات والقوة والاجتماع مرة ،وعن الشر والاجتماع له مرة أخرى ، ولم تقتصر فكرة الاثافي على الشعر بل تجاوزته الى هذا النوع من النثر الذي يسمى المثل ،والذي يعبر عن خلاصة تجربة الشعب ،وهو في ايجازه وتركيزه أقرب الى الشعر منه الى

---

1) لطفي عبد البديع :" التركيب اللغوي للادب "،مطبعة السنة المحمدية القاهرة ،ط1 ، 1970 ،ص : 144 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

النشـــر ، اذن ففكرة الاثافي ابعـــاد عديدة لا بعد واحـد . (1)

واذا كانت محتويـات الطلـل - واهمهـا الأثافـي - ترمز الى امـور أخـرى فممـا لاشك فيـه ان الصورة المقابلـة لهـا اعمق في هذا الرمز، اذ من طبيعـة الصورة انهـا تضيف شيئا جـديدا . ومن الغريـــب حقـا ، ان نـرى الاثفيـة في عالم بعض الشعراء تتحول الى صـــــورة ناقـة فلماذا الناقـة ؟ .

(1)

لاشك ان كل من له ادنى صلـة بالشعر الجاهلي يعرف ان الناقـة قـد استحـوذت على جانب كبير من اهتمام بعض الشعراء الجاهليـــين وان الحديث عن الناقـة والامعـان في وصـف اجـزاء جسمهـا ،او تشبيههـا بحيـوانات أخرى قـد تكون مشابهـة لهـا أو غير مشابهـة ،قد احتل حيزا كبيرا من القصيـدة الجاهليـة . قد يقـال ان الناقـة كانت عماد حياتهم

---

1) - وردت فكرة الاثافي للثبات والقوة والاجتماع في قول بشر بن خـازم
أثافي من خزيمة راسيات لنا حل المناقب والحـــرام
ديوان بشر ،تحقيق عزة حسن - نشر وزارة الثقافة ،دمشق ،ط/ 2 1972 ،ص : 206 .
- وقد وردت للشر والاجتماع له في قـول النابغـة الذبياني :
لا تقذفني بركن لاكفاء لـه وان تأثفك الاعداء بالرفـــد
ديوان النابغة ، تحقيق ، محمد الطاهر بن عاشور، مصنع الكتاب ، تونس 1976 ،ص : 86 .
- ومن ذلك ايضـا قـول علقمة بن عبـدة :
بل كل قوم وان عزوا وان كثروا عريفهم باثافي الشر مرجـــوم
ديوان علقمة : تصحيح ابن شنب، مطبعة كربونل ، الجزائر1925 ،ص: 63 .
- اما في المثل فقد قيل : (رماه الله بثالثة الاثافي) .
الميداني : مجمع الامثال ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت . 1961 ،ج1،ص 402 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاقتصادية ، وكانت عماد حياتهم الاجتماعية أيضا ، وهو رأي صحيح .
ولكن ملامح الناقة التي تصادفنا في الشعر ليست ملامح الناقة المادية
أو قل ان الناقة المادية انما تمتمر ظلا لناقة الشاعر ان كنا
نؤمن بعالم المثل . فقد كانت ناقة الشاعر ، فيما يبدو ، ترمز
الى أشياء لعل من ابرزها الأمومة .(1) ويتضح ذلك من خلال
الأمثلة التالية : يقول ابو ذوئب الهذلي في وصف الاثافي :(2)

فلم يبق منها سوى هامد وسفع الخدود معا والنوي
كموذ المعطف احزى لها بمصدره الماء رأم رذي
فهن عكوف كنوح الكريم قد لاح اكبادهن الهوي

لم يبق من هذه الأطلال الارماد هامد مع هذه الاثافي التي يرى
بها أثر النار ، ويشبه الشاعر الأثافي ، في الصورة الأولى ، بثلاث
نوق حديثات الولادة ، يعطفها صاحبها لترضع ولدا او حوارا ضعيفا ،
هذا الولد ملقى في مكان فيه ماء يصدر الناس منه . ثم يشبه هذه
النوق في الصورة الثانية ، بنساء ينحن على فقد كريم عزيز عليهن .

---

1) انظر مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار لبنان للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ) من 95 الى 121 : عقد فصلا في هذا الكتاب سماه " الناقة الام " استعرض فيه عدة قصائد جاهلية ومن خلال التشبيهات التي شبه بها الشاعر ناقته ، استنتج ان الناقة في الشعر الجاهلي كانت ترمز الى الامومة ، ولكنه لم يستعرض هذه الفكرة من خلال النصوص التي وردت في الطلل .

2) ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 ص : 66 - 67 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان هذا الطلل ، فيما يبدو ،عالم مؤلف من خيال الشاعر ،يحلم فيه باشياء يحبها ويرضى عنها ،ويصطدم احساسه فيه باشياء لا يحبها ولا يرضى عنها ايضا . ان هذه النوق التي يتحدث عنها الشاعر ليست تسجيلا أمينا للطبيعة وما يتحرك في هذه الطبيعة كما يرى بعض الباحثين ،فليست هذه النوق صورة مطابقة ،تماما ،للاثافي وانما هي من صنع خيال الشاعر اتخذها وسيلة للتعبير عن عالم هذا الطلل ،وان الولد الضعيف والماء وصدور الناس من هذا الماء بالاضافة الى انها ليست من محتويات الطلل ،هي من خلق الشاعر وابداعه، وان الولد الضعيف ،فيما نرى ، هو الشاعر او الانسان في مفهوم الشاعر ، وان عنصر الماء والناس هما حلم الشاعر بالحياة وان حلم الشاعر هنا ينبع من مصدرين في هذا الطلل ،ينبع من الماء وما يرمز اليه الماء من خصب وحياة ،وصدور الناس من هذا الماء يؤيد هذا الرأي ،وينبع من الأمومة وما ترمز اليه من خصب واستمرارية للحياة كذلك ، وان الصورة المقابلة في هذا الحلم هي تحول النوق الى نساء نائحات . ولا شك ان رؤية الشاعر للوجود ، من خلال هاتين الصورتين تعتبر رؤية شاملة بوجهيها المشرق والحزين معا . وكانت الناقة رمزا صالحا لهذه الرؤية ،فقد كانت أما مرضعا في الصورة الاولى وكانت نائحة في الصورة المقابلة .

ان تشبيه الناقة بامراة نائحة تقليد فني شائع في الشعر الجاهلي وان تعبير الشاعر عن حزنه بحزن الناقة على ولدها امر شائع ايضا . ويمكن عرض بعض الأمثلة على ذلك لابراز ما ترمز اليه الناقة في بعض مواطن الحزن اذ الطلل موطن من هذه المواطن .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول كعب بن زهير في قصيدته المشهورة (بانت سعاد) بعد وصف ناقته ،التي يقول انها تبلغه سعاد ،بمظاهر القدرة على تحمل مشاق السفر يقول في آخر الوصف : (1)

كان أوب ذراعيها اذا عرقت　　وقد تلفع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت　　ورق الجنادب يركضن الحصى قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف　　قامت فجاوبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها　　لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها　　مشقق عن تراقيها رعابيل

فسرعة ذراعي هذه الناقة ،حين يشتد الحر في منتصف النهار في الوقت الذي يقيل فيه المسافرون ،وحين تلتف الاكام بالسراب ، وحين لا تستطيع الجنادب من شدة الحر أن تطير ،شبيهة بسرعة يدي امرأة نائحة أخبرها الناعون بموت ولدها البكر ،فجاوبها نساء مثلها تذكرن مصابهن في أبنائهن ، فهي لذلك ليس لها عقل ،تضرب صدرها بكفيها فثوبها مشقق ممزق على صدرها .

ان كعبا بن زهير كان ، في فترة قوله لهذه القصيدة ، مهددا بالموت ، وان سعاد التي يتحدث عنها في هذه القصيدة ترمز ،فيما نرى الى هذه الحياة المهددة . والبيت الذي يلي هذا المشهد مباشرة يؤكد هذا الرأي : (2)

---

1) ديوان كعب : الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، 1965 ، ص : 161 وما بعدها .

2) المصدر نفسه ، ص : 16 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يسعى الوشاة جنابيها وقولهم   انك يابن ابي سلمى لمقتول

ولهذا نرى ان احساس الشاعر بخطر الموت هو الذي أوحى اليه بهذه الصورة ،سواء عبر عن هذا بوعي او بدون وعي .

ويعبر عمرو بن معد يكرب عن حزنه بحزن الناقة على ولدها فيقول : (1)

لعمرك ما ثلاث حائمات   على ربع يرعن وما يريع
وناب ما يعيش لها حوار   شديد الطعن مثكال جزوع
بأوجد لوعة مني ووجدا   غداة تحمل الانس الجميع

ان حزن الشاعر على فراق الحي اكثر من حزن ثلاث نوق تطوف على حوار ميت يرجعن الحنين ولا يرجع ،ثم يتحدث عن حزن ناقة من هذه النوق لا يعيش لها حوار ، فيقول انها شديدة الحزن على ولدها .

ان فكرة الامومة والحزن المرافق لها لا تكاد تفارق الناقة ، سواء عبر الشاعر عن حزن الناقة نفسها ،او قابلها بصورة امرأة نائحة كما فعل ابو ذؤيب في الطلل ،أو كعب بن زهير في وصف الناقة .

ويبرز هذا التقليد الفني اكثر في الرثاء ،حيث يصادفنا مشهد

---

1) الاصمعي " الاصمعيات " تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ،دار المعارف ،القاهرة ط 3،الاصمعية ص : 176 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مؤشر لحزن النوق ، يقول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك : (1)

وما وجد أظآر ثلاث روائـــم	اصبن مخرا من حوار ومصرعـا
يذكرن ذا البث الحزين ببثـه	اذا حنت الاولى سجعن لها معا
اذا شارف منهن قامت فرجعت	حنينا فابكى شجوها البرك اجمعا
بأوجد مني يوم قام بمالـــك	مناد بصير بالفراق فأسمعـــا

ان هذه النوق الثلاث ،العاطفة على ولدها الرائعة لــه ،رأت مصرع حوار لها ، فهي ببكائها وحنينها تثير حزن الحزيـن ، اذا حنت الاولى أجابت النوق الاخرى ،واذا بكت الناقة المسنة منهـا أبكت ما حولها من النوق ،هذه النوق ، في حالتها هذه ،ليست بأشد مني حزنا على أخي مالك .

وواضح من هذه الابيات ان الشاعر عبر عن حزنه من خلال هذا المأتم الذي أقامه بين هذه النوق ،وكان هذا الحزن حـزن الام المفجوعة على ولدها .

ولكن لماذا كانت النوق ثلاثا عند متمم وعند عمرو بن معد يكرب قبله ؟ ولماذا لم يجعل هؤلاء الشعراء العدد اكثر او أقل ؟ قد تكون فكرة الاثافي مسيطرة على احساس هؤلاء الشعراء ،وقد يكـون هذا العدد يرمز الى شئ آخر عند العرب .

---

1) المفضل " المفضليات " تحقيق وشرح : احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، دار المعارف ،القاهرة . ط 4 المفضلية : 67 ، ص : 270 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحق ان هذا المدد يرتبط بالاثافي وما ترمز اليه من جهة ويربط النوق بالاثافي ، كما رأينا في طلل أبي ذؤيب ،من جهة أخرى . قد تكون فكرة هذا المدد استعيرت من فكرة الاثافي أوغيرها ولكن الواقع ان هذا المدد ارتبط بالحزن ، وارتبط بالشروالعذاب ايضا ونحن نعتقد اذا كان هذا الرأي صحيحا ،أن الشاعر القديم عندما خاطب الاثنين ليساعداه على البكاء والحزن ،اثناء وقوفه على الطلل فانما كان يريد ان يكتمل حزنه باكتمال هذا المدد ،وكأن الحزن لا يكون عميقا الا عند اكتماله . وقد حاول القدماء ان يجدوا تعليلا لذلك ،فقالوا في شرح البيت التالي من معلقة امرئي القيس : (1)

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل   بسقط اللوى بين الدخول فحومل

" وانما فعلت العرب ذلك (يريد مخاطبة الاثنين) لأن الرجل يكون أدنى أعوانه ثلاثة "(2)، ولكن فكرة المدد فيما يظهر . هي السبب

---

1) معلقة امرئي القيس ،الزوزني شرح المعلقات السبع تقديم ظافر كوجان ، دار اليقظة بيروت ، 1964، ص : 54 .

2) المرجع السابق .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في مخاطبة الاثنين .(1)

وواضح ما تقدم ان الناقة كانت وسيلة لتعبير الشاعر عن فكرة الام وكانت ،كذلك ،وسيلة للتعبير عن حزن هذه الام ، سواء كان ذلك في الطلل أو ما يشبه الطلل .

ومثلما شبه ابو ذؤيب الهذلي الاثافي بالنوق العاطفة على غير ولدها ،شبه بشر بن ابي خازم الاثافي بها ايضا في قوله : (2)

وجر الراسمات بها ذيولا كأن شمالها بعد الدبور
رماد بين أظآر ثلاث كما وشم الرواهش بالنؤور

---

1) ـ ان ظاهرة التعبير بهذا العدد ـ في هذا السياق لم تقتصر على الشعر وحده ،بل اننا نجدها في القرآن الكريم ، ولا شك ان القرآن كان يخاطب العرب بما يفهمون وبأسلوبهم في الحياة وتقاليدهم الفنية المعروفة . فعندما يخاطب المشركين في معرض الحديث عن يوم القيامة ،يقول لهم : (انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب . لا ظليل ولا يغني من اللهب . انها ترمي بشرر كالقصر . كأنه جمالات صفر .) سورة المرسلات: آية 30 وما بعدها . فقد جعل القرآن ،في هذه الآيات ألسنة اللهب ثلاثا ،وشبه الشرر المتطاير من نار جهنم بنوق ثلاث .

2) ـ ديوان بشر . ص : 94 ـ 95 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان الرياح التي تدفن الطلل قد جرت ذيولها عليه ،وأسى تعاقبها في خيال الشاعر شبيها برماد بين أثاف ثلاث ،او قل بين نوق عاطفة على غير ولدها . ثم شبه الشاعر ،بعد ذلك الطلل بالوشم .

وعناية النقاد بالمطابقة بين المشبه والمشبه به في الشكل واللون جملتهم يعيبون على هذا الشاعر تشبيه الرياح بالرماد بين الاثافي، ويرون انه تشبيه بعيد لم يوفق فيه الشاعر . (1) ولكن الشاعر ،فيما يظهر أراد ان يقول : ان الرياح لا تكاد تبرح هذا الطلل ،والرياح في احساس الشعراء من عوامل فناء الطلل ،فهي ،في الحاحها عليه مثل الرماد المقيم بين الاثافي .

ان الجمع بين ذكر الرياح والرماد يذكر بالمثل الذي ضربه القرآن الكريم لذهاب الشئ وفنائه : (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الرياح في يوم ،عاصف) . (2) لكن ما علاقة الرماد بالنوق العاطفة قد يقال ان الشاعر استعار صورة النوق للاثافي ،ولم يستعر للرماد شيئا ،وهذا شرح ظاهر النص ،ولكن القراءة التي مرت لعناصر طلل أبي ذؤيب تجعلنا نقرأ كل عناصر الصورة ،في الاطلال الاخرى ،بحذر.

---

1) انظر : المرزباني :" الموشح " ،المطبعة السلفية ،القاهرة ، 1343 هـ ، ص : 861 .
والعسكري :" في الصناعتين ،دار احياء الكتب العربية ،ط/1 1952 ، ص : 252 .

2) سورة ابراهيم ، آية : 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان الرماد في الشعر الجاهلي يرمز الى أشياء قد يكون من بينها الكرم ، ولكن الرماد ، في سياق الطلل يرمز ، فيما يبدو ، الى الموت والفناء ، وقد يؤيد هذا الرأي بيت للبيد بن ربيعة ، وهو من قصيدة رثاء . وبعض عناصر الطلل قد نجد تفسيرها في الرثاء ، يقول لبيد متاملا في قصر عمر الانسان ومصيره : (1)

وما المرء الا كالشهاب وضوئه . يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

فالنار ، في هذا البيت ، ترمز الى حياة الانسان ، والرماد يرمز الى موته وفنائه . واذا سلمنا بهذا الرأي فان الرماد الذي بين الاظآر في طلل هذا الشاعر ، هو ذلك الولد الضعيف في طلل أبي ذؤيب ، ولكن اذا قلنا ان الشاعر ينظر الى الوجود ، من خلال الطلل ، نظرة شمولية فيها الحياة والموت معا ، استطعنا ان نقول ان عنصر الأظآر او النوق العاطفة عند هذا الشاعر هو جانب الحياة ، وان عنصر الرماد هو الجانب الآخر ، وهو جانب الانسان الذي ينوح عليه النساء ، في تشبيه النوق ، في طلل ابي ذؤيب .

وتصادفنا صورة أخرى شبيهة بهذه الصورة لشاعر لم تذكر المعاجم اسمه ، ولكن عناصرها هي عناصر صورة بشر ، وأسلوبها جاهلي فيما يظهر ، يقول هذا الشاعر . (2)

---

1) ديوان لبيد ، دار صادر بيروت ، 1966 ، ص : 88 .

2) انظر : الزبيدي . " تاج العروس ". دار صادر بيروت - 1966 - مادة (ظار) ،

- ابن منظور "لسان العرب" ، دار صادر بيروت ، 1955 ، مادة (ظار) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سفعا ظؤارا حول أورق جاثم   لعب الرياح بتربه أحـــوالا

ان هذه الاثافي او هذه النوق العاطفة على غير ولدها هي مجتمعة حول هذا الرماد الجاثم في هذا الطلل الذي لعبت به الريـــاح وعبثت بترابه سنين طويلة .

ان هذا الشاعر يصف الرماد بالجثوم ، والشراح يقولون ان الجثوم هو الاقامة ، ولكن وصف الرماد بالجثوم قد يوحي بشئ آخر ، اذ ان الجثوم معناه الجلوس ، ويؤخذ من هذا المصدر لفظ (جثمان) وهو الجسم وهذا التفسير ، ان صح يؤيد ما قلناه آنفا من أن الرمـــاد في الطلل يرمز الى الانسان في حالة فنائه . وقد يؤيد هذاالرأي استعارة النوق للاثافي .

وهكذا يتبين من خلال صور الناقة : أنها كانت ، فيما يبدو ، ترمز عند الشاعر القديم الى الامومة ، في حالة قوتها وعطائها ، وترمز اليها في حالة ضعفها وفزعها أيضا ، بل كانت الناقة اسطورة في تفكير الشاعر الجاهلي ترمز الى الخير والشر معا . ويبدو ان ناقة صالح عليه السلام كانت تسيطر على تفكير هؤلاء الشعراء ، حين يتحدثون عن الناقة او يصفونها ، ويبدو كذلك ان فكرة الامومة ، ان صحت ، قد استمدت من قصة ناقة ثمود ، وان هذه الناقة كانت ترمز الى أمومة جيل من الناس ، وهذا الجيل هم ثمود ، واذا كانت الامومة ترمـــز الى الحياة وخصبها فان فقدانها قد يرمز الى الهلاك والخــراب وانقراض النوع ، وهذا ما وقع لثمود ، ولم تكن قصة ثمود مجهولة عند هؤلاء ، الشعراء ، فقد كان بعضهم يرويها كاملة في شعره مثل أمية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ابن أبي الصلت .(1) وحين تحدث زهير بن ابى سلمى عن الحرب وما ينتج عنها اتخذ من عاقر الناقة رمزا للشؤم وانتشار الشعر .(2)

وواضح من هذا ان الناقة كانت لرمزيتها أبعاد مختلفة ومتناقضة أيضا ،ولعل هذا هو السبب الذي جعل بعض الشعراء يعبرون ، من خلالها ،عن حزنهم ،وعن حبهم للحياة كذلك ،ولعلها ، في كل هذا كانت أداة صالحة للتعبير عما يدور في احساس الشاعر أثناء ،وقوفه على الطلل .

(2)

ان تشبيه الشعراء الجاهليين للاثافي يكاد يقتصر على نوعين من الحيوانات ،وهما الناقة والحمامة ،مع أن هناك بعض الحيوانات تشبه الاثافي أكثر من هذين النوعين . ولكن يظهر ،كما اسلفنا ، ان رمزية هذا الحيوان او ذاك هي السبب في هذا الاختيار .

والحمامة تشترك مع الناقة في بعض هذا الرمز ،واذا رجعنا

---

1) انظر : أمية بن ابي الصلت ،حياته وشعره". تحقيق بهجة عبد الغفور ،مطبعة العاني بغداد 1975، ص : 215وما بعدها

2) انظر : معلقة زهير : الزوزني ،شرح المعلقات السبع . ص : 174.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلو كان حمد يخلد الناس أخلدوا ولكن حمد الناس ليس بمخلد
ولكن فيه باقيات وراثة فاورث بنيك بعضها وتزود
تزود الى يوم الممات فانه ولو كرهته النفس آخر موعد

ان فكرة الوراثة في البيت الثاني ، قد تفسر نوع الخلود الذي يتحدث عنه زهير . ولعل البيت الاخير من هذه القصيدة ، يبرز الجانب الثاني من الصراع الذي بدأ من الطلل ، وتكون القصيدة بذلك وثيقة الصلة بالطلل وبالصراع الدائر فيه ، ولهذا يمكن القول ان صورة الحمام في الطلل قد تكون ترمز الى خلود حزن الحمام على الهديل ، وهي لذلك موازية لحزن الانسان أيضا .

ان الحمام ارتبط ، عند اغلب الشعراء بهذه الفكرة ، فالنابغة الذبياني يقول اثناء وقوفه على الطلل انه يبكي : (1)

بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغنى

والنابغة ، في هذا البيت ، يذكر قصة الهديل ، كما انه يعمق رؤيته للحياة حيث يجعل هذه الحمامة تبكي وتغني في آن واحد .

وتبرز قصة الحمامة في شعر الرثاء أكثر ، وقد أشرنا أثناء حديثنا عن صورة الناقة الى ان بعض عناصر الطلل قد نجد لها تفسيرا اكثر في الرثاء ، يقول صخر الغي الهذلي في رثاء ولده تليد : (2)

---

1) ديوان النابغة ، وتحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، ص : 251 .
2) ديوان الهذليين ، ق / 2 ، ص : 67 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وما ان صوت نائحة بليـــل ... بسبلل لاتنام مع الهجـــود
تجهنا غاديين فسائلتـــني ... بواحدها وأسأل عن تليـــد
فقلت لها : فأما ساق حـــر ... فبان مع الاوائل من ثمـــود
وقالت لن ترى ابدا تليـــدا ... بعينك آخر العمر الجديـــد
كلانا رد صاحبه بيـــاس ... وتانيب ووجدان بعيـــد

ان صخرا ،من خلال هذا الحوار بينه وبين الحمامة ،يحاول تعميق مأساته بذكره لقصة الهديل ،ولكنه لا يكتفي بذلك بل يستلهم قصة ثمود ايضا ،وهو ما يؤيد ما قلناه آنفا من أنه يوجد بعض الشبه بين ما ترمز اليه الناقة وما ترمز اليه الحمامة .

والخنساء ، في رثائها لاخيها صخر ،تستلهم قصة الهديل ايضا فتقول : (1)

فـــلا بكينك ما سمعت حمامة ... تدعو هديلا في فروع الفرقـــد

فبكاء الحمامة ونوحها على الهديل في فروع الشجر يثيران شجونها ويذكرانها باخيها صخر .

واذا كان متمم بن نويرة قد عبر عن حزنه من خلال الناقة، وقد مربنا ذلك ، فقد عبر عن هذا الحزن من خلال الحمام كذلك حينما قال : (2)

---

1) ديوان الخنساء ،منشورات دار مكتبة الحياة بيروت . لبنان،ص: 46 .
2) المفضليات ،المفضليات : 68 . ص: 272 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اذا رقات عيناي ذكرني بـــه   حمام تنادي في الغصون وقوع
دعون هديلا فاحتزنت لمالـك   وفي الصدر منوجدعليه صدوع

وواضح من هذا ان الشاعر القديم قد عبر عن حزنه من خـــلال الناقة والحمامة معا .

وترتبط صورة الحمامة بالخلود في الطلل عند شاعرا آخـــر وهو بشر من ابى خازم الذي يقول : (1)

كان خوالدا في الدارسفعــا   بعرصتها حمامات وقـــوع

فما الاثافي الخالدة التي سفعتها النار ،في نظر هذا الشاعــر الاحمامات نزلن بساحة الدار . ويقول حسان بن ثابت : (2)

خلاء المبادي ما به غير ركــد   ثلاث كامثال الحمائم جثــم

فمظاهر هذا الطلل خالية ، ليس فيها الا اثاف ركد جثم مثل الحمام . ويقول عدي بن زيد العبادي : (3)

---

1) ديوان بشر ، ص : 130 .
2) ديوان حسان ، تحقيق : البرقوقي ، المطبعة الرحمانيــة مصر (بدون تاريخ) ص : 393 .
3) ديوان عدي . تحقيق : محمد جبار المعيبد ،دار الجمهورية بغداد ، 1965 ، ص : 73 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وثلا ث كالحمامات بهـــــا عند مجثا هن توشيم الفحـم

ان هــؤلاء الشعراء يحاولـون ان يخلقوا فـي الصـورة حركـة بواسطة أفعـال مثـل " نزل " و " جثم " و " جثا " . ولعلهم يريدون بذلك أن يبعثوا نوعـا من الحيـاة في اطـلالهم بهذه الحـركـة .

وترتبط صـورة الحمامة بالفناء والبلى عند اميـة بن ابى الصلـت وذلك عندما يقـول : (1)

وسافرت الرياح بهـن عصــرا باذيـال يرحن ويغتدينــــا
فابقين الطلول مخبيــــات ثلا ثا كالحمائم بلينـــــا

ان الرياح تروح وتغدو على هذه الاطـلال محاولـة اخفاء ، معالمهـا ومن بين المعالـم التي خفيت هذه الاثافي التي بليت والتي تشبـه الحمام ، والشاعـر هنـا يربط فكرة الفناء والبلـى بصـورة الحمام . وقد لاحظنـــا قبـل أن زهـيرا ربـط بينهـا وبين فكرة الخلـود ، ويبدو ان الشعـراء قد رمزوا بالحمام لمعـان تشبه فـي تناقضهـا تناقـض الحياة التي يعيشونهـا ويحسـون بهـا .

ولم تقتصـر صـورة الحمام علـى الاثافـي ، بل ان بعض الشعراء شبـه الرماد بالحمام ، يقـول ساعدة بن جؤيـه الهـذلـي : (2)

---

1) "امية ابن ابي الصلت حياته وشعره "، ص : 269 . وانظر : كذلك شيخـو" شعراء النصـرانية" مطبعة الآباء ، بيروت ، 1926، ج 1 ص : 233 .

2) ديوان الهذليين ، ق : 1 ، ص : 227 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عفا غير ارث من رماد كأنسه   حمام بالباد القطار جثوم

فان الطلل في نظره قد درس ،ولم يبق منه الا أصل رماد كأنه حمام في مكان لبده المطر . ويقول الشماخ بن ضرار في تشبيه الرماد كذلك : (1)

وارث رماد كالحمامة ماثل   ونؤيان من مظلومتين كداهما

ويعني انه لم يبق من هذا الطلل الا اصل رماد ماثل كالحمامة، وهذان النؤيان والتراب حولهما .

ولفظ الارث عند الشاعرين يفسره الشراح بالاصل ،ولكنه يدل على ما يتركه الانسان بعد موته ،وهذا هو المعنى اللغوي المعروف لهذه الكلمة ،وقد يكون هذا المعنى مناسبا اكثر في سياق الطلل .

ان الحمام كان يرمز الى الفراق ،كما كان يرمز الى حزن الشاعر في مختلف عصور الشعر العربي ،غير انه استخدم في العصر الجاهلي في فكرة الموت اكثر ،ولكن احساس الانسان في مختلف العصور لم يكن ينفر من هذا الطائر ،وكأنه كان يعبر ،في هديله عن مأساته في كل عصور الشعر العربي . وقد كانت هناك طيور ترمز الى الفراق أو تذكر به ،وطيور ترمز الى الخراب ،وقد يشترك الحمام معها في هذا الجانب ،غير اننا لا نجد شاعرا واحدا قديما ،فيما نعلم ،يشبه الطلل بالغراب او البومة ،او يسكن طلله غراب او بومة . ولعل هذا يدل على ان الحمامة قد اخذت في احساس الشاعر بعدا انسانيا ، وما صورتها في الطلل الا تعبير من الشاعر عن مأساة الانسان في

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الحزن المتجدد الذي يعبر عن اللاتناهي لوجود الانسان كما يعبر عن اللا تناهي لفنائه أيضا . ويبدو ان الشعراء ،عندما شبهوا الاثافي بالحمام ـ كان هذا الاحساس لديهم مصاحبا لهذه الصورة ،او شئ قريب منها . وما قصة الهديل التي تكثر في شعر الرثاء الا تعبير من هؤلاء الشعراء عن مشكلة المصير في هذا الوجود .

وهناك قصة أخرى حول الحمامة ارتبطت بمصير الانسان كذلك ،وهي قصة الحمامة التي ارسلها نوح ،عليه السلام ،من السفينة في عهد الطوفان ،ويقال انها طوقت ذلك الطوق الذي يرى في عنقها جزاء على اخبارها أياه بقرب الوصول الى اليابس من الأرض وقد ذكر أمية بن ابي الصلت هذه القصة كاملة مرتين في شعره (1) وربما ذكرها غيره من الشعراء ،وربما كان لكلتا القصتين أثر في احساس الشعراء نحو هذا الطائر الذي استخدموه كثيرا في مواطن الحزن .

وواضح مما تقدم ان صورة الحمام في الطلل كانت توحي بكل هذه الابعاد التي كانت لهذا الطائر القريب من نفوس الشعراء ،وان كان يذكرهم بالموت والفراق .

وبالاضافة الى هذا فان الشاعر الجاهلي كان ـ فيما يظهر يستلهم فكرة الأمومة التي كانت مقدسة لدى الانسان في مراحله

---

1) "أمية بن ابي الصلت حياته وشعره" ص : 254 وما بعدها ص : 320 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الاولى (1) ويبدو أنه أتخذ الناقة والحمامة رمزا لهذه الفكرة .

(3)

اذا كانت الاثافي قد شبهت بالناقة مرة ، وبالحمامة مرة اخرى فان هناك صورة غريبة قد عبرت هي الاخرى عن الطلل ، هذه الصورة هي صورة الحية ، ومن الغريب ان ينفرد بها ، فيما نعلم ، شاعر جاهلي واحد ، وفي طلل واحد كذلك ، قد تكون هذه الصورة تقليدا فنيا لم يصلنا منه الا هذا الشاهد ، وقد تكون صورة شاذة انفرد بها هذا الشاعر ، ومع هذا فلا يمكن للباحث ان يهملها ، ولا ان يدرجها في نوع النوق أو نوع الحمام .

غيران ما توحي به الناقة والحمامة في الطلل ، وما نسج حول هذين الحيوانين من قصص وأساطير ، يجعلان الباحث يحاول ان يستنتج شيئا مقاربا ، ان لم يكن مشابها تماما ، لهذا النوع الذي يشاركهما هذا التشبيه ، فبماذا كانت توحي صورة الحية في الطلل ؟

يقول بشر بن ابي خازم : (2)

لمن الديارغشيتها بالانعم ... تبدو معالمها كلون الارقم
لعبت بها ريح الصبا فتنكرت ... الا بقية نؤيها المتهدم

---

1) انظر : جرجي زيدان . "تاريخ التمدن الاسلامي" منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ، 1967 . ج : 3 . ص: 251 وما بعدها . وانظر ايضا : جواد علي "المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام" دار العلم للملايين بيروت 1968 . ج 1 ص : 518 .

2) ديوان بشر ، ص : 177 - 178 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يتساءل الشاعر عن هذه الديار التي بهذا المكان الذي يسمى الانعم ، ويقول ان معارفها كلون الارقم ، ويقول بعض الشراح : ان الارقم هو ذكر الحية الذي فيه نقط سود ، وانه اخبث الحيات ثم ينبه الشاعر الى ان هذه الديار قد " تنكرت واصبحت لا تعرف ، وقد ساعدت الرياح على هذا التنكر ، فلم يبق منها الا هذا النؤى المتهدم .

قد يقال ان الشاعر اتى بهذا التشبيه لان الطلل يشبه النقط التي في ظهر هذه الحية ، ولكننا نعتقد أن تألم الشاعر للخراب الذي أصاب هذا الطلل هو الذي أوحى اليه الصورة ، والنؤى المتهدم في البيت الثاني يؤيد هذا الرأي . وربما كان هذا الشاعر في هذا الطلل يرى الوجود من جانب واحد ، جانب الموت والفناء فان النؤى عند الشعراء ، فيما يبدو ، كان يرمز الى شئ ما عندهم لأن بعض الشعراء يلح على ان يكون نؤى طللهم غير متهدم ، مثل زهير بن ابي سلمى _(1)

ومعنى هذا ان الحية ترمز في هذا السياق الى فكرة الخراب والفناء ، وبالاضافة الى هذا كان شائعا بينهم " ان الحية لا تتخذ لنفسها بيتا ، وكل بيت قصدت نحوه هرب أهله منه واخلوه لها ".(2) وقد كانت صورتها ترمز الى الفناء ، وربما استمدت رمزا لذلك بعد هذا العصر فقد " قال بعض المحدثين وذكر حال البرامكة كيف كانت

---

1) يقول زهير في معلقته : الزوزني : " شرح المعلقات السبع ، ص: 162
_أثافي سفعا في معرس مرجل ونئويا كجذم الحوض لم يتثلم
2) الجاحظ : " الحيوان " تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط : 1 . ج : 4 . ص 149 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والـي اي شئ صارت :

واذا انظرت الى الثرى بعراصهم قلت الشجاع ثوى بها والا رقم (1)

وواضح من هذا ان بشرا عند ما شبه الطلل بالحية كان احساسه مصاحبا لفكرة الموت ، وكان احساسه يتألم لخراب هذا الطلل ، فقد ارتبطت صورة ، الحية عند بعض الشعراء بالالم في الطلل وفي غير الطلل ، يقول الحطيئة اثناء وقوفه على الطلل : (2)

كانني ساورتني يوم اسالها عود من الرقش ما تصغي لراقيها

انه يحس حين يسال هذه الاطلال ، كان حية مسنة في ظهرها نقط سود قد اخذت براسه ، وان هذه الحية لا تنفع معها رقية راق .

والنابغة الذبياني يصور احساسه بالالم فيقول : (3)

فبت كانى ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها بحلي النساء في يديه قعاقع
تناذرها الراقون منسوء سمها تطلقه طورا وطورا تراجع

لقد بات يحس ، من شدة الحيرة والالم ، كأن حية ضئيلة فيها فقط قد اخذت براسه ، هذه الحية سمها قاتل ، ومن يصاب بسم هذه الحية يجبر على السهر بضرب حلي النساء حوله لكي لا " يدب السم

---

1) المصدر نفسه ، ج : 4 ، ص : 176 .
2) ديوان الحطيئة . تحقيق نعمان أمين طه . مطبعة البابي الحلبي ط / 1 . ص : 202 .
3) ديوان النابغة ، دار صادر بيروت . ص : 80 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في جسمه اثناء النوم ،هذه الحية لا تنفع معها رقى الراقين .

ويقول المتنخل الهذلي في وصف أرض موحشة : (1)

كان مزاحف الحيات فيها قبيل الصبح آثار السياط

كان زحف هذه الحيات في هذه الارض الموحشة آثار السياط في الجسم ،ونعتقد انه لا وجود لهذه الاثار الا في احساس الشاعر.

وواضح من هذا ان صورة الحية او أثرها ارتبط عند هؤلاء الشعراء بالالم والخراب والاحساس بالوحشة ،ولا شك ان صورة الحية في الطلل توحي بالوحشة والالم معا .

ولكن هل ارتبطت صورة الحية بقصص وأساطير عند قدماء العرب وغيرهم (2) . وهل كان لهذه القصص والاساطير ،ان وجدت ، أثر في نفوس الشعراء ؟ مما لاشك فيه ان للحية قصصا واساطير كانت مروية بينهم آنذاك ،وان أقدم قصة روتها الكتب القديمة ومن بينها كتب التفسير هي قصة الحية مع ابليس ، وتتمثل هذه القصة في أن الحية ادخلت ابليس في جوفها ،ودخلت به الجنة ،فوسوس لآدم ،فأكل من الشجرة التي نهي عن الاكل منها . ويضاف الى هذا ان الحية كانت مثل الناقة او الجمل ، وكما عوقب ابليس بالطرد من رحمة الله عوقبت

1) ديوان الهذليين . ق : 2 . ص : 25 .

2) انظر : " دائرة المعارف الاسلامية "ج 8 . ص : 167 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحيــة فمسخت على ما هي عليه الآن . (1) وقد روى هذه القصة اميـة بن ابي الصلت في قصيدة (2) كما رواها أيضا عدى بن زيد العبادي . (3) ومعنى هذا ان القصة كانت مروية بين العرب في ذلك العصر ، وانهمــا ارتبطت بفكرة الخلود من جهة ، وصورة الناقة من جهة أخرى ، فهــل نستشف فكرة الخلود من صورة الحية في الطلل ؟ (4) .

وهناك قصة أخرى حول الحية تسمى " ذات الصفا " وهي قصـة يرويها النابغة في معرض ضرب المثل بظلم الانسان ، وربما رواهـا غيره من الشعراء وملخصها ان اخوين كانا قريبين من واد فيه خصـب وكان في هذا الوادي حية تحميه ، وللجدب الذي حولهما اضطـر احد الاخوين الى النزول الى ذلك الوادي من أجل الرعي ، فقتلتـه الحية ، ولكن أخاه اراد ان ينتقم لاخيه منها ، وعندما نزل الى الوادي ولقيها صالحته على ان تمنحه دية أخيه ، ولكن الحية أوفت بوعدها وأخلف أخو القتيل . وكان النابغة ، في هذه القصة يشبه نفسه بالحية ويشبه اعداءه باخي القتيل الذي غدر (5) .

---

1) انظر : الطبري في تفسيره ، تحقيق شاكر دار المعارف ، مصر ، ج 1 ص: 526

2) - " امية بن ابي الصلت حياته وشعره " . ص : 157 .

3) ديوان عدى . ص 159 . يقول :
فكانت الحية الرقشاء اذ خلقت كما ترى ناقة في الخلق او جملا .

4) انظر : ديورانت : " قصة الحضارة " مطابع الدجوى ، القاهرة عابدين - 1973 . ج 2 . ص : 243 . ترجم هذا الجزء محمد بدران . يقول في هامش هذه الصفحة : " كان كثيرون من الاقدمين يعبدون الافعى ويتخذونها رمزا للخلود ، وذلك لقدرتها الظاهرة على الفرار من الموت بتبديل جلدها " .

5) ديوان النابغة . دار صادر بيروت . ص : 68 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان قصيدة بشر التي يشبه طللها بصورة حية تروى قصة يوم من أيام العرب ، وما وقع في هذا اليوم من قتل واسر بين قومه واعدائهم وايام العرب ، في اغلبها ، أخذ بالثار ، فهل كانت صورة الحية في طلل بشر توحي بفكرة الاخذ بالثار ؟ هذه الفكرة التي هي فكرة القصة التي يرويها النابغة ، وتكون بذلك صورة الطلل موحية بفكرة القصيدة وبفكرة الالم والخراب .

وواضح مما تقدم ان للحية قصصا وأساطير مثلما كان للناقة والحمامة ايضا ، وان الشعراء قد استخدموا هذه الانواع الثلاثة من الحيوانات في شعرهم لرموز مختلفة ومتشابهة ، ولا شك ان استخدام الشعراء لهذه الانواع في تشبيه الطلل يعني ان هناك شيئا ما يربط بين هذه الحيوانات فيما ترمز اليه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني

رؤية الشاعر للطلل من خلال آثار الانسان

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان الطلل أثر من أثار الانسان ،وأن كل جزء من محتوياته يرمز الى فكرة وجوده على هذه الارض . واذن فلا غرابة ان يرى الشاعر القديم هذا الطلل في صوره الحضارية الخالدة ، مثل الكتابة والوشم وما شابه ذلك من الوسائل التي ألجأته الحياة الى استخدامها ، وكانت هذه الوسائل ،بالاضافة الى ذلك ،شاهدة على تقدمه الحضاري في مختلف العصور .

(1)

ان الكتابة من أهم مكتشفات الانسان ،فبها استطاع ، وما يزال ، أن يخلد معارفه وآثاره الحضارية ،وهي الوسيلة التي استطاع بها ان يجمع بين الماضي والحاضر ،فيرى ماضيه في حاضره أو يرى العكس، وبها ايضا تكاملت المعارف الانسانية وتطورت ،فأضاف المتأخر الى معارف المتقدم تجارب في شتى المعارف والعلوم ،فكانت المعارف الانسانية لذلك سلسلة ربطت بين حلقاتها الكتابة .

ويبدو أن الشاعر قد ادرك هذه الفكرة الانسانية ، فحاول ان يستلهمها أثناء وقوفه على الطلل ، وهو يربطها في الغالب بالماضي ، ويجعلك تحس أنها باقية لم تستطع عوامل الزمن أن تنال منها ولذلك كانت صورة الكتابة عنده ، فيما يبدو ، أزلية وخالدة معا . واذا كان الطلل يبدو له أحيانا في صورة الفناء والبلى فان صورة الكتابة التي يشبهه بها ،تضفي عليه بعدين اثنين : بعد الازلية وبعد الخلود بالاضافة الى أبعاد أخرى .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والكتابة نشأت . فيما يرى بعض الباحثين ، نوعا من الزخرف قبل ان تتحول الى أداة تسجيل للكلام (1)، ولهذا نرى بعض الشعراء يلحون على فكرة الزخرف هذه عندما يشبهون الطلل بالكتابة ولكننا نلمح أحيانا ابعادا أخرى الى جانب هذا الزخرف، فنرى فيه جمال الحياة ونرى فيه عمقها ايضا ، يقول سلامة ابن جندل (2).

لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق
أكب عليه كاتب بدواته وحادثه في العين جدة مهرق

ان هذا الطلل الذي بين المكانين : الصليب ومطرق ، مثل الكتابة المنمقة الموشاة ، والشاعر يقدم اليك صورة الكتابة والى جانبها صورة الكاتب وحركته ودنو يرى في الطلل القديم ، ويرى فيه الجديد ، ويشبه هذا الجديد بالصحيفة . وتبرز فكرة الزخرف

---

1) - يقول ديورانت : "قصة الحضارة" ترجمة زكي نجيب محمود وآخرين مطابع الدجوى - ج 1 / 182 : " فالكتابة شأنها شأن التصوير والنحت ، قد تكون في نشأتها فنا خزفيا ، اذ بدأت ضربا من ضروب النقش والرسم ، وبذلك تكون الطيقة نفسها التي استحالت في يد الخزاف آنية وفي يد النحات تماثيل ، وفي يد البناء آجرا قد هيأت للكاتب مادته التي يخط عليها كتابته وطريق التطور من هذه البداية الى الكتابة المسمارية في بلاد ما بين النهرين مناقي المراحل مفهوم التدرج .

2) ديوان سلامة بن جندل - تحقيق فخر الدين قباوة ، مطبعة الاصيل حلب ط 1 . 1968 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اكثر عند معاوية بن مالك اذ يقول : (1)

فان لها منازل خاويات على نملى وقفت بها الركابا
من الاجزاع اسفل من نميل كما رجعت بالقلم الكتابا
كتاب محبر هاج بصير ينمقه وحاذر أن يعابا

ان هذه المنازل التي خلت من اهلها مثل كتابة امحت فرجعها كاتب ماهر ، فهو ينمقها ويحسنها ويخاف مع ذلك ان يعاب اذا لم يحسن التنميق والوشي ، ويضيف الشاعر هنا الى حركة هذا الكاتب احساسه وخوفه من ان تظهر كتابته غير جميلة . ويلح ثعلبة بن عمرو العبدي على هذا الزخرف في الطلل فيقول : (2)

لمن دمن كأنهن صحائف قفار خلا منها الكثيب فواحف
فما احدثت فيها العهود كانما تلعب بالسمان فيها الزخارف
اكب عليه كاتب بدواته يقيم بديه تارة ويخالف

انه يرى دمن الديار في صورة صحائف ، ويراها خالية من أهلها ولكن عوامل الطبيعة تعهدتها فزخرفتها بالوان من الاصباغ ويرى هذا الزخرف في صورة كتابة عكف عليها كاتب ، يسوى سطوره مرة ، ويخالف مرة اخرى ، فهو يكتب ويرسم ، ولا يتبع نمطا واحدا في ذلك ، ولكن هذه السطور التي تستقيم مرة ، ولا تستقيم أخرى توحي اليك بان هذا الكاتب يخط في هذا الطلل انواعا من التعاويذ والرقى ، فتتخيله فنانا يرسم ، وساحرا يكتب

---

1) المفضليات ، م : 105 ، ص : 354 وما بعدها . ص: 155 وما بعدها .
2) المفضليات ، م : 105 ، ص : 357 وما بعدها . ص: 155 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تعاويذ .(1) وترتبط صورة الكتابة على الجلد كذلك بالتحسين والتزيين عند المرقش الاكبر حيث يقول : (2)

الدار قفر والرسوم كما رقش في ظهر الاديم قلم

وربما سمي المرقش ،كما يروى ، لقوله هذا البيت . ومثله في ذلك مثل الاخنس بن شهاب التغلبي الذي يقول : (3)

---

1) لعادل جاسم البياتي مقال صدر له في "مجلة كلية الآداب" جامعة بغداد ،عدد : 25 ،شباط 1979 ص : 620 وما بعدها ،تحدث فيه عن الشعر العربي في بداياته الاولى ،واتصاله في هذه البدايات بالكهانة والسحر ،فيقول : " فالشعر الغامض المبهم الذي افترض وجوده (مرجليوث) مكان الشعر الجاهلي الر[illegible]ج المفهوم يصح وجوده عندنا ،الا انه يسبق مرحلة الشعر الجاهلي بقرون عديدة ،وذلك عندما كان الشعر في الغيبوبة العقلية التي ذكرناها ، يوم كانت الصلة بين الشعر وبين التنبوء بالغيب قائمة حيث كانت مهمة الشعر كهنوتية ولغته غامضة مبهمة كطلاسم الكهان واحجبة السحرة ورقاهم وتعويذاتهم ،وهي مرحلة مطموسة ذاهبة لم يصل الينا منها شئ ".

ويقول عبد الجبار المطلبي في كتابه : مواقف في الادب والنقد . دار الحرية للطباعة بغداد 1980 . ص : 72 ."فلابد ان شيئا مما يتصل بالدين والطقوس والعادات الاجتماعية قد انتقل الى التعبير الادبي في لغته العامة كما انتقل اليها تيار التقاليد الادبية الموروثة خلال الاجيال الضاربة في القدم ".

2) المفضليات . م : 54 : ص : 237 .

3) المصدر نفسه . م : 41 . ص : 204 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لابنه حطان بن عوف منـــازل   كما رقش العنوان في الرق كاتـب

ومثلـه طرفـة بن العبـد الذي يقـول : (1)

كسطـور الـرق رقشـــــه   بالضحى مرقش يشمــــه

ويرى القدماء ان الترقيش وقت الضحى يكون احكم لصنعة الترقيش هـذه ،ولكـن يبـدو ان ربط الكتابـة بوقت الضحـى ،وهو بداية النهار، قد يعني عند الشاعر بعث الحياة في هـذا الطلـل من جديــد . ونجـد فكرة الزخـرف أيضـا عنـد حاتـم الطائي حيث يقـول : (2)

أتعرف أطلا لا ونؤيـا مهدمـا   كخطك في رق كتابا منمنمـا

وتلتقي ، عند هذا الشاعر فكرة الهدم مع صوره الكتابـة المحسنـة المنمقـة او قل انـه يرى الطلـل فانيـا ،ويراه خالدا خلود هـــذه الكتابـة .

وواضح من هذا ان الشاعر يستلهـم فكـرة الجمال للطلل ، ولكنـه فيما يبدو ، يستشف هذه الفكرة من الماضي البعيـد ،ماضي الكتابـة نفسها وبذلك يضاف البعد الزمني الى عنصر الجمال في صـــورة الكتابـة عنـد الشاعـر ،ولهـذا نستطيـع ان نقول ان عنصر الصــورة مشابهـة تماما لفكـرة الطلـل .

---

1) ديوان طرفـة . تحقيق على الجندي . مطبعة الرسالة ـ القاهرة . ص : 149 .

2) ديوان حاتم الطائي "تحقيق وشرح : كرم البستاني مكتبة صادر بيروت 1953 . ص : 115 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كانت الكتابة قد نشأت نوعا من الزخرف فانها مالبثت ان تحولت الى أداة لحفظ المعارف الانسانية ، ومن اهم الاسباب لاكتشافها كما يرى بعض الباحثين ،حاجة الناس ، في تعاملهم التجارى ،الى تسجيل العقود المتعلقة بهذا التعامل (1) والشاعر الجاهلي لم يكن يجهل هذه الحقيقة ، فيما يبدو . ولهذا نجد شاعرا مثل ابي ذوئب ،يشير الى هذه الفكرة عندما يشبه الطلل بالكتابة فيقول : (2)

عرفت الديار كرقم الدواة يذبرها الكاتب الحميرى
أدان وأنباه الاولون ان المدان الملي الوفي
فينظر في صحف كالريـاط فيهن ارث كتاب محي

عرف الشاعر أثار الديار ، فهي تشبه كتابة يكتبها كاتب من حمير أدان هذا الكاتب،وهو يخاف أن لا يوفى دينه ، ولكن أخبره كبار السن أن المدان غني ووفي فهو ينظر في صحف تشبه نوعا من الثياب كتب عليها عقد هذا الدين ،تكاد كتابته تمحي . ان عقد الدين وكاتب العقد والذين شهدوا على وفاء المدان ،كل هذه العناصر تنتمي الى الزمن الماضي ،والقدماء يفسرون لفظ(الاولون) بكبار السن ،ولكن قد يكون الشاعر يعني بها الاجيال السابقة وقد يكون الشاعر يشير بفكرة الدين هذه الى سبب من اسباب نشأة

1) ديورانت :" قصة الحضارة " ج:1 ص: 184 .
2) ديوان الهذليين . ق/ 1 . ص: 64-65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الكتابة ،ولكن يبدو ان في هذا السياق بعدا آخر ،اذ يبدو ان المدان هنا هو الشاعر ،وان الدين يرمز الى فكرة الانتماء الى هذه الحضارات الانسانية التي مضت ،ونسبة الكتابة الى حمير تؤكد هذا الرأي ،وبهذا يصبح الطلل هو الممر الذي يوصل الشاعر بماضيه الانساني ،وكل شاعر يقول مثل ابى ذؤيب : ان لي طللا انتمى اليه . وفكرة الانتماء في صورة الكتابة نجدها عند كثير من الشعراء ، حيث ينسبون الكتابة الى حضارة مضت ،او الى بلد نشأت فيه ،فلبيد بن ربيعة يقول : (1)

فنعاف صارة فالقنان كانها زبر يرجعها وليد يمان
متعود لحن يعيد بكفه قالما على عسب ذبلن وبان

ان رؤوس الأودية من هذه الاماكن تشبه كتابة يعيدها ،عند ما امحت أو كادت ،وليد من اليمن ، وهو متعود على الكتابة ماهر فيها ،يعيد ما امحى منها بالقلم ،على سعف النخل وقد ذبل ،وعلى اوراق شجر البان ايضا : والشاعر يخبرك عن عادة اهل اليمن في كتابة العقود فقد كان اهل اليمن ،كما يقول القدماء ، يكتبون عقودهم وصكوكهم على سعف النخل ،ومثل لبيد في هذا امرؤ القيس حيث يقول :(2)

---

1) ديوان لبيد . تحقيق احسان عباس مكتبة التراث الكويت، 1962 . ص: 138 .

2) ديوان امرئي القيس ،تصحيح ابن ابي شنب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . 1974 ،ص : 201 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمن طلل ابصرته فشجاني   كخط زبور في عسيب يمان

ان هذا الطلل الذي احزنه يشبه كتابة على سعف نخل ،نسبه الشاعر الى اليمن ،اشارة الى تقاليدهم في الكتابة . وهناك بعض الشعراء لا يذكرون الكتابة ،وانما يذكرون الصحف التي يكتب عليها حيث يقول لبيد : (1)

عفا الرسم ام لا بعد حول تجرما   لاسماء رسم كالصحيفة أعجما

انه يتساءل عن رسم أسماء هل عفا ودرس ام ما يزال ،فهو يشبه الصحيفة، وقد قيل ان الشاعر يشبه الطلل بالصحيفة لملاستها واستوائها ولكن ذكر الصحيفة يوحي بالكتابة وان لم يذكرها الشاعر . ومثله قول الحارث بن حلزة : (2)

لمن الديار عفون بالحبس   آياتها كمهارق الفرس

لمن هذه الديار التي درست وامحت أثارها ،فمعالمها تبدو مثل الصحيفة الفارسية ،وربما جاز لنا ان نستنتج ان الشاعر كان يربط صورة الكتابة بكل الحضارات التي يعرفها ،وهي رؤية شاملة لكل بني الانسان ،اذ ان اكتشاف الكتابة ليس لجنس دون آخر .ومثله في ذلك قول عبيد بن الابرص الذي يقول : (3)

---

1) ديوان لبيد -دار صادر بيروت . ص: 57 .

2) ديوان الحارث بن حلزة . نشر فريتس كرنكو . المطبعة الكاثوليكية بيروت 1922 . ص: 232 .

3) ديوان عبيد . تحقيق وشرح : حسين نصار . البابي الحلبي مصر. ط/1 . 1957 . ص: 671 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمن الديار بصاحة فحـــروس   درست من الاقفار اي دروس

الا اواريا كان رسومهــــا   في مهرق خلق الدواة لبيس

عفت آثار هذه الاطلال ولم يبق عنها الا مواقد النار التي تشبه رسومها كتابة في صحيفة قد بليت وامحت . وبعض الشعراء يلح على فكرة البلى مثل عبيد بن الابرص ،فزهير يرى صورة الكتابة قديمة قدم الرق الذي كتبت عليه فيقول : (1)

بلين وتحسب آياتهن عن فرط حولين رقا محيلا

واذا كانت صورة الكتابة قديمة بالية في بعض الاطلال ،فان بعض الشعراء يريدون للطلل صورة متجددة مثل تجدد الكتابة في أطلال اخرى حيث يقول عبيد بن الابرص : (2)

لمن دمنة أقوت بجوة ضرغد   تلوح كعنوان الكتاب المجدد

ويقول لبيد بن ربيعة في هذا المعنى : (3)

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر تجد متونها أقلامها

ان السيول قد عرت هذه الاطلال بعدما طمست معالمها ،فهي تشبه كتابة امحت فأعادت الاقلام كتابتها من جديد . ويقول عبد الله

---

1) ديوان زهير . ص : 194 .

2) ديوان عبيد بن الابرص . ص : 52 .

3) ديوان لبيد . تحقيق احسان عباس . ص : 247 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن عنمة الضبي : (1)

فلما رأيت الدار قفرا سألتها ... فعي علينا نؤيها ورمادها
فلم يبق الا دمنة ومنازل ... كما رد في خط الدواة مدادها

ان الشاعر يرى الديار مقفرة ، ويراها لا تجيب ، ولذلك نجده يحاول اعادة الحياة اليها بصورة الكتابة المتجددة . اما حسان بن ثابت فيري صورة الكتابة في ورق جديد ، فيقول : (2)

عرفت ديار زنيب بالكثيب ... كخط الوحي في الورق القشيب

ولكن بعض الشعراء لا يكتفون بتجديد الكتابة أو بانها على ورق جديد ولكنهم يحاولون ان تكون صورة الطلل خالدة خلود النقش على الحجر . يقول لبيد بن ربيعة في هذا المعنى : (3)

فمدافع الريان عري رسمها ... خلقا كما ضمن الوحي سلامها

ان مجاري الماء في هذا الجبل قد عريت رسومها لطول العهد فهي تشبه كتابة ضمنت الحجارة خلودها وبقاءها . وربما يؤكد زهير فكرة الخلود هذه ، حيث يقول : (4)

---

1) المفضلية : 114 . ص : 378 . والاصمعية ، 85 . ص : 226 .
2) ديوان حسان . ص : 14 .
3) ديوان لبيد . تحقيق احسان عباس . ص : 279 .
4) ديوان زهير . ص : 268 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لمن الديار غشيتها بالفرفد   كالوحي في حجر المسيل المخلد

هذه الديار التي يمكان مرتفع تشبه كتابة في حجر من الحجارة الباقية في مجاري المياه ،وقد قيل ان هذا النوع من الحجارة يكون أصلب من غيره ،والشاعر في هذا يريد للطلل ان يخلد مثل خلود الكتابة على هذه الحجارة الصلبة . وتتأكد فكرة انتماء الشاعر الى الحضارات السالفة اذا استنتجنا مما سبق أنه كان يعرف شيئا عن النقوش التي اكتشفت حديثا عن بعض الحضارات التي مضت .

ولم ترتبط نشأة الكتابة في القديم بعقود المعاملات التجارية بين الناس كما مر فحسب ، بل كان الدين عاملا مهما بالنسبة الى نشأة الكتابة وتطورها كما يرى بعض الباحثين .(1) وربما كان للاديان السماوية دور في تطورها ،واضفاء نوع من القداسة عليها ،فبعض الشعراء عندما يشبهون الطلل بالكتابة نجدهم يربطون هذه الصورة بالدين ،فنحس بانهم يضفون عليها نوعا من قداسة الدين ،فامرؤ القيس

---

1) يقول ديورانت في كتابه :"قصة الحضارة" ج 1 ،ص : 184 :"فالظاهر ان الكتابة من نتائج التجارة ،وهي احدي وسائل التجارة المسهلة لامورها ،فهاهنا أيضا ترى الثقافة كم هي مدينة للتجارة ، وذلك أنه لما أصطنع الكهنة لانفسهم مجموعة من رسوم يكتبون بها عباراتهم السحرية والطقوسية والطبية ،اتحدت الطائفتان الدنيوية والدينية وهما طائفتان متنازعتان عادة ،اتحدتا مؤقتا لتتعاونا على اخراج أعظم ما اخرجته الانسانية من مخترعاتها ،منذ عرف الانسان الكلام ."

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مثلا يقول : (1)

أتت حجج بعدي عليها فاصبحت كخط زبور في مصاحف رهبان

لقد مرت على هذا الطلل سنون فاصبحت رسومه مثل كتابة في مصاحف رهبان . ومثله في ذلك قول الشماخ بن ضرار : (2)

أتعرف رسما دارسا قد تغيرا بذروة أقوى بعد ليلى واقفرا
كما خط عبرانية يمينه بتيماء حبر ثم عرض اسطرا

ان هذا الرسم الذي بذروة قد درس وتغير وخلا من اهله ، وان صورته تشبه كتابة بالعبرية كتبها حبر من احبار اليهود ، ولكن هذا الكاتب لم يوضح كتابته ، ولعل في ابهام الكتابة نوعا من الطقوس الدينية التي كان يلجأ اليها الكهنة ورجال الدين في طمس ما يكتبون من الرقى والتعاويذ التي يريد الشاعر ان تكتنف هذا الطلل .

ومن الواضح أن هذا الشاعر ، مثل من سبقه ، يريد ان يصل حاضر الكتابة بماضيها ، أو بسبب من أسباب نشأتها . وبالاضافة الى ذلك يحاول أن يضفي على الطلل شيئا من قداسة الدين حين يربط الكتابة بالأحبار والرهبان .

---

1) ديوان امرئ القيس . ص : 209 .

2) ديوان الشماخ بن ضرار بشرح احمد بن أمين الشنقيطي . مطبعة السعادة مصر 1967 هـ . ص : 26 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان الكتابة ،فيما يبدو ، كانت من بين المقدسات عند الشاعر القديم ولعل السبب في ذلك يرجع الى شيوع الامية في هذا المجتمع بالاضافة الى ارتباطها بالدين ،ولعل الاحساس بهذه القداسة لم يقتصر على العصر الجاهلي فحسب ، بل تجاوزه الى العصور التي تلته ،فقد روى عن الفرزدق أنه سجد عندما سمع بيت لبيد بن ربيعة الذي شبه فيه جلاء ،السيول عن الاطلال بكتابة انمحت واعيد تجديدها : (1)

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

وقد سئل الفرزدق عن سبب هذا السجود ، فقال : انتم تعرفون سجدة القرآن ،وأنا اعرف سجدة الشعر ،(2) ومعنى هذا ان احساس الفرزدق ، وهو شاعر تغلب عليه البداوة ،كان مشابها لاحساس الشاعر الجاهلي ، وربما كان سجود الفرزدق تفسيرا لقداسة صورة الكتابة عند الشاعر القديم ،كما قد يكون احساسه بالانتماء الى هذا التراث هو الذي أوحى اليه بالسجود تقديسا لهذه الصورة . ونجد الابهام الذي يشبه الطقوس عند الاعشى كذلك في قوله : (3)

لميثاء دارعفار رسمها فما ان تبين أسطارها

---

1) ديوان لبيد . تحقيق احسان عباس . ص: 247 .

2) ابو الفرج . الاغاني ،تحقيق عبد الستار فراج . دار الثقافة بيروت 1958 . مجلد ، 15 . ص : 299 .

3) ديوان الاعشي". شرح وتعليق محمد حسين المطبعة النموذجية .ص: 317 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح مما تقدم ان الكتابة ،كما يرى بعض الباحثين ، ذاكرة الانسان وماضيه .(1) واذا كان بعض الشعراء يجددون صورة الكتابة فان معنى ذلك عندهم ان الماضي متجدد لا يزول يقول مصطفى ناصف : "كل شاعر في العصر الجاهلي لا يبدأ الحديث ، ولا يخاطب المجتمع الذي ينتمي اليه الا عن طريق بعث الماضي ،فالماضي يأخذ صفة الالحاح المستمر على عقل الشاعر". (2) وهو يرى ان نقطة الانطلاق الحقيقية ، هي اعادة النظر في مفهوم الماضي ،ويرى كذلك أنه لا يمكن ان يثرى مفهوم الحياة الا اذا ابدأ من نقطة قديمة ،وكلما كانت عريقة في القدم أعان ذلك على فكرة البعث . فالماضي ليس أصم، وانما هو زمان مفتوح منطلق بناء ". (3)

(2)

اذا كانت الكتابة قد نشأت نوعا من الزخرف فان الوشم قد نشأ كذلك ، فقد لاحظ بعض البداة القدماء ان الاصباغ التي يستخدمونها للتجميل تزول بسرعة ،فلجأوا الى وسيلة التجميل بالوشم وغيره ، مما يدوم أثره على الجلد أكثر من تلك الاصْباغ .(4) ويبدو أن الوشم

---

1) مصطفى ناصف . قراءة ثانية لشعرنا القديم ". ص : 60 .

2) المرجع نفسه . ص : 55 .

3) المرجع نفسه . ص :

4) ديورانت " قصة الحضارة " ج 1 . ص : 144 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استخدم أيضا لاسباب أخرى ،من بينهما الرقى او السحر ،ويظهر انه كان يرمز عند بعض الشعوب الى الانتماء الطبقي او القبلي او الى اشياء أخرى.(1) واذا اعتبرنا ان الوشم فن ،فان الفن قد ارتبط في القديم بالسحر .(2)

واذا بحثنا عن معنى الوشم في اللغة وجدنا له معاني كثيرة،ولعل اغلبها يدور حول معنى واحد هو الخصب وما يتصل به ،ومن بين هذه المعاني النبت في اوله ،(3) وقد شبه بشر بن ابي خازم النبت بالوشم فقال :(4)

---

1) الموسوعة العربية الميسرة ،باشراف محمد شفيق غربال . الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة - 1965 . مادة (وشم) ص: 1953 . "وللشعوب في ممارسته (الوشم) طرائق مختلفة بالوخز والتلوين ،وقد مارسته بعض الجماعات الانسانية قديما لاغراض نفعية ،وقد يقترن بالحجامة او التشريط ،دلالة على الحزن،وقد يكون للحماية من عين الحسود ،او لابراز امتياز طبقي ،او رابطة قبلية ،او مكانة اجتماعية . وقد استعمل الوشم مع الكي بالنار تحقيرا للمجرمين والمسجونين ".

2) انظر : ارنولد هاوزر "الفن والمجتمع عبر التاريخ " ترجمة فؤاد زكريا دار الكتاب للطباعة والنشر ج1. ص : 17 وما بعدها .

3) ابن منظور ،" لسان العرب" مادة (وشم) .

4) المفضل الضبي ،المفضليات ،م 97 . ص : 336 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تفالى نبته واعتم حـــتى كان منابت العلجان شام

ومن بين معاني الوشم ايضا لمعان البرق وهو متصل بالمطر والخصب ، وقد استعار لبيد هذا المعنى في رثائه للنعمان،فقال :(1)

على ما تريه الخمراذ جاش بحره وأوشم برق من نداه ووابل

ويرمز الوشم كذلك الى الثبوت والبقاء ،وقد ورد في هذا المعنى عند مزرد ابن ضرار ،حين تحدث عن أثر شعره فيمن يهجو فقال :(2)

فمن أدمه منها ببيت يلح بـــه كشامة وجه ليس للشام غاسل

ويذهب بعض الباحثين الى ان اشكال الوشم الموجودة حتى الآن عند بعض الشعوب العربية كلها ترمز الى الخير والخصوبة والحياة المتجددة والاستمرار والرغد في العيش والنسل .(3) فهل كانت اشكال الوشم في المجتمع الجاهلي مشابهة لها ؟ ثم هل كانت ترمز الى ذلك ؟

وقد كان الشاعر القديم يجمع احيانا بين صورتي الكتابة والوشم في الطلل واحد : بل اننا نجد ان صورة الكتابة تتحول عند بعضهم

---

1) ديوان لبيد . تحقيق احسان عباس . ص : 259 .

2) المفضل الضبي ،" المفضليات" م :17. ص : 100 .

3) انظر : على زيعور" التحليل النفسي للذات العربية ،دار الطليعة ،بيروت ،ط/ 1 . 1977،ص : 154 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الى وشم ، مما يدل على ان للوشم علاقة بالكتابة في بعض ابعادها يقول أبو ذؤيب الهذلي في تشبيه الكتابة بالوشم : (1)

عرفت الديار كرقم الدواة يزبرها الكاتب الحميري
برقم ووشي كما زخرفت بميشمها المزدهاة الهدي

ان الشاعر قد شبه الطلل بالكتابة ،ثم شبه الكتابة بالوشم الذي تتزين به العروس التي استخفها الحزن لتبدو اكثر جمالا . ان الوشم في هذه الصورة يرتبط بالجمال ، ولكن فكرة الانتماء في الكتابة تجعلنا نضيفها الى الوشم أيضا . والعروس عنصر هام في هذا الطلل ،لا يرمز الى الجمال فحسب ، بل يرمز الى فكرة الزواج وبناء البيت ، ومن ثم الى حب الحياة واستمرارها ، بل ان هذا الطلل يمثل الحياة كلها ، اذا عرفنا انه يبدأ بذكر العروس ثم يشبه الاثافي بالام المرضع ثم بامرأة تنوح على عزيز عليها ،وقد مرت هذه الصورة اثناء الحديث عن الاثافي .

وكما ارتبطت صورة الكتابة بالدين عند بعض الشعراء فان الوشم فيما يبدو قد ارتبط به كذلك ،وان بعض اشكاله التي نراها حتى اليوم كالصليب مثلا ليدل على ذلك . وعندما نقرا بعض الصور عند بعض الشعراء نكاد نحس ان للوشم طقوسا تشبه الطقوس الدينية او السحرية ،فلبيد بن ربيعة بعد ان شبه الطلل بالكتابة،يقول :(2)

---

1) ديوان الهذليين . ق : 1 ص : 65 .

2) ديوان لبيد بن ربيعة . تحقيق احسان عباس ،ص : 255 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

او رجع واشمة اسف نؤورها كفا تعرض فوقهن وشامها

ان هذا الطلل يشبه وشما ترجمه واشمة ، وتحشوه بدخان الشم لكي يظهر من جديد ، وكأنها في ذلك تقوم بطقوس خاصة به . ونسبة هذا الترجيع الى امرأة يذكرنا بما جاء في الحديث النبوي الذي يقول : " لعن الله الواشمة والمستوشمة "(1) . وقد نستنتج من نهي الدين عنه انه نوع من السحر ، وقد ورد كذلك قول آخر يشبه الحديث السابق : " الكهنة رسل الشيطان والوشم كتبه "، (2) . وربما يرى بعض الباحثين لهذا السبب ان الوشم تعويذة ضد الطلل (3) وللبيد بن ربيعة بيت أخر ينسب فيه الوشم الى امرأة ، ويبدو لنا من هذا البيت ان هذه المرأة ليست عادية كالنساء الأخريات ، حيث يقول : (4)

ا او مسلم عطت له علوية رضنت ظهور رواجب وبنان

ان هذا الطلل يشبه ساعدا اسلمه صاحبه الى امراة من العالية كما يقول شراح لبيد ، فوشمت له ظهور مفاصل كفه ، ونسبة هذه الواشمة الى العالية تجعلنا نستنتج ان النساء اللاتي كن يقمن بعطية الوشم لم يكن نساء كالاخريات ، وربما كن يشبهن الكاهنات ان صح هذا الرأي .

---

1) البخاري . شرح ابن حجر . مطبعة البابي الحلبي . مصر 1959 . ج 12 . ص : 501 .
2) خليل احمد خليل : مضمون الاسطورة في فكر العربي . دار الطليعة بيروت ط / 1 ، 1973 . ص : 91 .
3) مصطفى ناصف . قراءة ثانية لشعرنا القديم " ص : 158 .
4) ديوان لبيد بن ربيعة . تحقيق احسان عباس . ص : 139 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويحرص بعض الشعراء أثناء تشبيههم الطلل بالوشم على ان يكون الوشم باقيا لم تذهب آثاره ، يقول المتنخل الهذلي في هذا المعنى :(1)

هل تعرف المنزل بالاهيل كالوشم في المعصم لم يخمل

وكما رجع بعض الشعراء صورة الكتابة ، رجعوا كذلك صورة الوشم وهذا يدل على ان بين الصورتين علاقة ما ، ويدل ايضا على ان الشاعر حريص في ذلك على بعث نوع من الحياة في الطلل ، فزهير بن ابي سلمي يقول في هذا المعنى : (2)

يلوح كأنه كفا فتاة ترجع في معاصمها الوشوم

قد يقول بعضهم ان الشعراء انما حرصوا على ان يكون الوشم في معصم فتاة حتى يكون اوضح واجمل ، ولكن يبدو ان ربط الوشم بالفتوة والشباب يرمز الى فتوة الحياة نفسها . ومثل زهير المتنخل الهذلي الذي يقول : (3)

كوشم المعصم المغتال علت نواشره بوشم مستشاط

ان هذا الوشم المعاد مرة بعد أخرى هو في معصم ريان ممتلئ ،

---

1) ديوان الهذليين : ق : 2 ، ص : 2

2) ديوان زهير ، ص : 207 .

3) ديوان الهذليين ، ق : 2 ، ص : 18 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو من هذا ان الفتوة والترجيع ينتميان الى شئ واحد هو البعث
ويرى عبد الله بن سلمة الغامدي طلله في صورة وشم مرجع كذلك
فيقول : (1)

لمن الديار بتولع فيبوس   فبياض ريطة غير ذات انيس
أمست بمستن الرياح مفيلة   كالوشم رجع باليد المنكوس

انه يرى آثار الديار بهذه الاماكن قد امست مطموسة بفعل جرى الرياح فيها ،وهي تشبه وشما مرجعا في اليد ،وربما كان الشاعر يحس ان الرياح تقوم بعملية طمس هذه الآثار ،ولكنها في الوقت نفسه تقوم بعملية مغايرة للاولى ،ولهذا تكون صورة الوشم المعاد بعد انمحائه صورة مشابهة لعمل الرياح . ونجد فكرة ترجيع الوشم تتكرر عند زهير كما نجد ان للوشم علاقة بالقصيدة فيما يبدو لاسيما في معلقته ،اذ يقول : (2)

ديار لها بالرقتين كانها   مراجيع وشم في نواشر معصم

هو يرى الديار بهذه الاماكن تشبه وشما مرجعا في عروق المعصم ان صورة الوشم في معلقة زهير ترمز الى شئ ما ،اذا علمنا أن الوشم رسم بالدم ،وان الفكرة العامة لهذه القصيدة هي فكرة الصراع بين بني الانسان ،فان الوشم هنا يرمز الى هذا الصراع ،ثم تتحول صورة الوشم في باقي القصيدة الى صورة دم . فبعد ان يخلص زهير من الطلل الى رحلة الظعائن التي هي فيما يظهر ،رحلة الحياة

1) المفضليات . م 19 . ص : 105 .
2) الزوزني : معلقة زهير . ص : 160 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجده يشبه ما على ظهورها من قماش بلون الدم ، فيقول : (1)

علون بانماط عتاق وكلة وراد حواشيها مشاكهة الدم

لماذا اختار زهير لون الدم لهذا القماش ، اليست فكرة الصراع هي التي أوحت اليه اللون ؟ ثم نجده بعد ذلك عندما يتحدث عن الاسلوب في الحرب بين القبيلتين ، يقول : (2)

رعوا ظمئهم حتى اذا تم اوردوا غمارا تفرى بالسلاح وبالدم

ان الانسان قد يخلد الى الراحة من هذا الصراع ، ولكنه ما يلبث ان يعود اليه من جديد ، انه يرد الماء الذي يرمز هنا الى الحرب ففيه السلاح وفيه الدم . وفي خاتمة القصيدة عندما يتحدث عن تجاربه في الحياة يقول زهير : (3)

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ان تكرار لفظ الدم في قافية القصيدة ثلاث مرات ، هذا اذا اغفلنا ذكره في غير القافية ، بالاضافة ، الى صورة الوشم في المقدمة ، لامر يدعو الى مثل هذا الاستنتاج ، وبما ندعم هذا الاستنتاج اذ نلاحظ ان بعض القصائد الجاهلية التي يشبه فيها اصحابها الطلل بالوشم يوجد فيها ذكر الدم او الجراح ، ولاسيما المشهورة منها مثل

---

1) الزوزني : معلقة زهير . ص : 164 .

2) المرجع نفسه . ص : 178 .

3) المرجع نفسه . ص : 185 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

القصيدة السابقة ومعلقة لبيد ، هذا اذا كنا نؤمن بان القصيدة الجيدة بناء متكامل تربطه علاقات ،تكون واضحة حينا وغامضة حينا آخر . ومعنى هذا ان للوشم علاقة بالصراع الذي نجده في معظم القصائد ،سواء كان ذلك الصراع بين بني الانسان مثل ما هو الامر في معلقة زهير ،او بين الحيوان كما هو الشان في معلقة لبيد بن ربيعة .

وواضح مما تقدم ان صورة الوشم . مثل صورة الكتابة ،بقدر ما كانت تعني عند الشاعر الجاهلي نوعا من الزخرف الذي يضفيه على الطلل كانت ترمز عنده ،فيما يبدو ،الى ابعاد متعددة ،لعل من ابرزها فكرة اعادة الحياة الى الطلل التي يلح عليها معظم الشعراء ، ثم اضفاء نوع من القداسة عليه ،وتبرز كذلك من خلال هذه الصورة فكرة انتماء الشاعر الى ماضيه العريق في القدم ،ماضي الانسان وماضي فنه ايضا ،وكل هذه الابعاد التي لمسناها في صورتي الكتابة والوشم كانت تنبع من عمق فكرة الطلل ،الذي يرمز بدوره الى فكرة الصراع في هذه الحياة .

(3)

قد تكون الزخرفة والتجميل هما السببان اللذان يجعلان الشاعر القديم يشبه الطلل بنقوش غمد السيف ،وهو المعنى القريب الذي يفهم من هذا التشبيه ،ولكن فكرة الصراع في السلاح وما يتصل به في الطلل أيضا تضيف الى هذا الزخرف بعد هذا الصراع .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول طرفة بن العبد : (1)

اتعرف رسم الدار قفرا منازلـه   كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله

ان هذه المنازل المقفرة تشبه غمد السيف اليماني ،الذي زخرفه صانعه بانواع من الوشي ،ولفظتا الزخرف والوشي قد يوحيان بان الشاعر اتى بهذا التشبيه لاجل ان يضفي على الطلل صورة جميلة ، ولكن لفظ الاقفار في الشطر الاول يحد من هذه الفكرة ،اذ يضيف الى الصورة الجميلة بعدا آخر ،وبذلك تتنازع الطلل صورتان : صورة الاقفار ،وصورة نقوش الغمد ،وقد يجمع بين هذا التناقض السيف وما على غمده من نقوش ، فهو جميل وقاتل ،او قل فيه لذة الحياة وفيه قسوة الاحساس بالموت . وربما تبرز هذه الفكرة ،في طلل عبيد بن الابرص الذي يقول : (2)

دار حي اصابهم سالف الدهر   فاصبحت ديارهم كالخلال

ان هذا الطلل لم يكن طلل حبيب راحل كما هو الأمر بالنسبة الى الاطلال الاخرى ،وانما هو طلل حي من الناس اصابهم الدهر فاصبحت ديارهم مثل نقوش غمد السيف . ان هذه الصورة المرتبطة بالموت والفناء تؤكد الرأي القائل ان الشاعر الجاهلي عندما كان يقف على الاطلال انما كان يعني مشكلة المصير . ولعبيد بن الابرص تشبيه

---

1) ديوان طرفة . ص : 122 .

2) ديوان عبيد بن الابرص . ص 105 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أخر بالغمد يقول فيه :(1)

كأن ما أبقت الرواس منه والسنون الذواهب الأول
فرع قضيم غلا صوانه في يمني المياب او خلل

ان ما ابقت الرياح والزمن من هذا الطلل يشبه كتابة على حقيبة من صنع يمني ،أو يشبه نقوشا على غمد السيف . ان الغمد يرمز، فيما يبدو الى الجانب المادي من الانسان ،كما يرمز السيف الى الجانب المعنوي منه ،فلبيد بن ربيعة عندما اراد ان يعبر عن كبره وضعفه، قال :(2)

فاصبحت مثل السيف غير جفنه تقادم عهد القين والنصل قاطع

فهو يشبه جسمه الضعيف الفاني بالغمد ، ويشبه روحه والجانب المعنوي منه بالسيف القاطع الذي لا يؤثر فيه طول تقادم العهد ومعنى هذا ان الغمد في بعض الاحيان ، يوحي بفكرة الفناء والبلى غير انه قد يرمز الى الملجا والنصير ، هذا اذا تتبعنا ذلك عند بعض الشعراء المتاخرين ،مثل الطغرائي حيث يقول في البيت التالي :(3)

ناء عن الاهل صفر الكف منفرد كالنصل عري متناه من الخلل

فهو بعيد عن اهله وفقير ومفرد ،وقد يقال ان انعدام النقوش في السيف يعد عيبا ،ولكن سياق البيت يدل على ان الشاعر شبه نفسه

---

1) ديوان عبيد بن الابرص . ص : 96 .

2) ديوان لبيد بن ربيعة ، دار صادر بيروت . ص : 89 .

3) ديوان الطغرائي ،مطبعة الجوانب . قسطنطينه . ط1. 1300.
ص : 54 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بسيف ليس له غمد منقوش لبعده عن اهله وانفراده ، ولفظ " عرى " في الشطر الثاني يوحي بهذا المعنى ، وربما يوضح هذه الفكرة اكثر قوله في البيت الذي يليه : (1)

فلا صديق اليه مشتكى حزني   ولا انيس اليه منتهى جذلي

ووضح من هذا ان صورة غمد السيف كانت ترمز عند الشاعر القديم الى الفناء تارة والى اللجوء تارة أخرى . وفي كل ذلك كانت فكرة الزخرف واردة ايضا ، ولكن فكرة الصراع بين الحياة والموت قد تكون من بين الايحاءات التي توحي بها صورة غمد السيف ، اذا ربطنا بين ما يوحي به المشبه والمشبه معا .

(4)

من بين الصور التي رسمها الشاعر القديم للطلل صورة الثياب والبسط المنمقة ، وفي اغلب الاحيان ينسب الشاعر الثياب الى صانعها او الى المكان الذي صنعت فيه ، مثل ما فعل في صورة الكتابة ولكن يبدو ان صورة الثياب قد ارتبطت ، عند اغلب الشعراء بفكرة الفناء والبلى ، بل اننا نجد احدهم عندما اراد ان يشبه الجديد من الطلل شبهه بالكتابة ، وعندما اراد ان يعبر عن فنائه شبهه بالثوب ، يقول سلامة بن جندل : (2)

---

1) ديوان الطغراني ، مطبعة الجوائب . قسطنطينه . ط/1. 1300ص: 54 .

2) ديوان سلامة بن جندل ، ص : 156 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اكب عليه كاتب بدواتـــــه ‏ وحادثه في اليمين جدة مهرق

فهو يرى ان الجديد من هذا الطلل يشبه الجديد من الصحيـــف ولكنه يقول بعد ابيات : (1)

وماذا تبكي من رسوم محيلـــة ‏ خلاء كسحق اليمنة المتمــزق

انه يرى ان لا فائدة من البكاء على رسوم خالية قديمة ، وهـــي لقدمها تشبه الثوب البالي المتمزق . والتناقض بين الصورة الاولى صورة الكتابة او الصحيفة ، والصورة الثانية ، صورة الثوب ، يؤكد فكرة الصـــراع لدى الشاعر . كما نستنتج كذلك من هذا ان صورة الكتابة ، في الغالـــب ترمز الى الحياة والتجدد ، وان صورة الثوب ترمز الى الموت والفنـــاء ويربط عبيد بن الابرص صورة الثوب بالبلى ، فيقول : (2)

يادار هند عفاها كل هطـــال ‏ بالجو مثل سحيق اليمنة البالي

ان المطر الح على اطلال هند فتركها مثل الثوب اليمني البالـــي . ومثلـــه في ذلك قول الحطيئة : (3)

جرت عليها باذيال لها عصـــف ‏ فاصبحت مثل سحق البرد عافيها

ان الرياح قد جرت اذيالها على هذه الاطلال فاصبح ماعفا منهـــا ودرس مثل الثوب البالي ، ومثله في ذلك مثل كعب ابن زهير الـــذى

---

1) ديوان سلامة بن جندل ، ص : 166 .

2) ديوان عبيد بن الابرص . ص : 101 .

3) ديوان الحطيئة . ص : 201 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول :(1)

ألما على ربع بذات المزاهر   مقيم كاخلاق العباءة داثر

هذا الربع الذي يريد الالمام به مقيم ،ولكنه يشبهه بالثوب البالي ، ويرى الحارث بن عباد البكري الطلل في صورة ثوب قديم ،فيقول :(2)

هل عرفت الغداة رسما محيلا   دارسا بعد اهله مجهولا
لسليمى كانه سحق برد   زاده قلة الانيس محولا

ويرى زهير بن ابي سلمى الطلل في صورة ثوب ،قسمه صانعو السيوف على الاغماد ،فيقول :(3)

كان عليها نقبة حميرية   يقطعها بين الجفون الصياقل

وواضح من هذا ان صورة الثوب قد ارتبطت عند هؤلاء الشعراء بالبلى ،ويظهر ان عطية اللباس نفسها كانت ترمز عندهم الى هذا البلى وربما كانت السبب في ارتباط الثوب بهذه الفكرة ،فسلامة بن جندل عندما اراد ان يعبر عن البلى الذي بالطلل ،قال :(4)

لبس الرواس والجديد بلاها   فتركن مثل المهرق الاخلاق

فهو يرى ان لهذين الطللين ثوبا لبسته الرياح والدهر فابلياه

---

1) ديوان كعب بن زهير . ص: 185 .
2) لويس شيخو " شعراء النصرانية . ج . 1 . ص: 233 .
3) ديوان زهير . ص: 243 .
4) ديوان سلامة بن جندل . ص 135 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى حسان بن ثابت ان للبلى ثيابا ،فيقول : (1)

كسته سرابيل البلى بعد عهده وجون سرى بالوابل المتهزم

وهو يتحدث هنا عن رياح الصيف التي البست هذا الطلل ثياب البلى وعن السحاب الاسود الذي كساه هذا الثوب ايضا . بوابل من المطر.

وقد يكون الثوب معادلا لبلى الانسان نفسه . واذا كنا لا نجد دليلا على ذلك في الشعر الجاهلي ،فاننا نجده عند بعض الشعراء الامويين ،حيث يقول نابغة بني شيبان : (2)

والدهر يبلي الفتى حتى يغيره كما تغير بعد الجدة السمل

ويقول صخر الخضري ،حين مر على ربع كانت تحل به محبوبته : (3)

بليت كما يبلى الرداء ولا أرى جنابا ولا اكناف ذروة تخلق

وهو يقارن في هذا البيت بينه وبين هذه الاماكن او هذه الجبال التي لم ينل منها البلى شيئا ،وهو في ذلك يتحسر على شبابه التي مضى .

---

1) ديوان حسان بن ثابت . ص: 393 .
2) ديوان نابغة بني شيبان ،دار الكتب المصرية . ط/1 ،1932 ص: 95 .
3) قدامة بن جعفر . " نقد الشعر" تحقيق كمال مصطفى ،مطبعة السعادة مصر ، ص: 142 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك بعض الشعراء ارادوا بصورة الثوب ،فيما يبدو مما عليه من خطوط ورسوم ،يقول طرفة بن العبد : (1)

وبالسفح آيات كان رسومها   يمان وشته ريدة وسحول

ان في هذا السفح علامات تشبه ثوبا يمانيا ،وشي وتمق في هاتين القريتين المشهورتين بصنع الثياب . ويقول الحطيئة في هذا المعنى : (2)

تراها بعد دعس الحي فيها   كحاشية الرداء الحميري

فهو يشبه آثار الوطء في هذه الاطلال بحاشية الرداء ، ومن عادة الحاشية ان تكون موشاة . ونجد بعض الشعراء يجمعون بين جمال الثوب وبين بلى الطلل او الثوب ،يقول حسان بن ثابت : (3)

لمن منزل عاف كان رسومه   خياعيل ريط سابرى منمنم

انه يشبه انواعا من الثياب الرقيقة الموشاة ،ثم يقول بعد ذلك: (4)

وغير شجيج ماثل حالف البلى   وغير بقايا كالسحيق المنمنم

---

1) ديوان طرفة بن العبد . ص: 117 .

2) ديوان الحطيئة . ص: 35 .

3) ديوان حسان بن ثابت . ص: 392 .

4) ديوان حسان بن ثابت . ص: 393 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يبق من هذه الاطلال الا وتد قائم قد لازمه البلى ، وبقايا مثل الثوب البالي الموشى ، فهو جميل ولكنه قديم بال ، وبهذا يبرز الشاعر صورة الحياة من خلال الطلل بوجهيها المظلم والمضئ معا .

واذا كان بعض الشعراء قد شبه الطلل بالثوب فان بعضهم شبهه بالبسط ، فقد عرف المتنخل الهذلي اطلاله وشبهها بما يرسم على انواع من البسط من خطوط ورسوم ، فقال : (1)

عرفت باجدث فنعاف عرق   علامات كتحبير النماط

ولكن النابغة الذبياني مختلف معه في الرؤية حين يشبه طلله بالحصير ، ويقول : (2)

كأن مجر الرامسات ذيولها   عليه حصير نمقته الصوانع
على ظهر مبناة جديد سيورها   يطوف بها وسط اللطيمة بائع

انه يرى أثار الرياح فيه تشبه حصيرا حسنته ووشته الصوانع فهو يرسم حصيرا ، ويرسم الى جانبه مجموعة من النساء ينسجن هذا الحصير ، ثم يتحول هذا المشهد الى سوق يجري فيه البيع والشراء ، ويصبح الطلل بذلك زاخرا بنوع من صناعة النسيج ، وبالتجارة ايضا . ويجعلك هذا الشاعر ترى طلله نابضا بالحركة والحياة . فهو

---

1) ديوان الهذليين . ق : 2 . ص : 18 .

2) ديوان النابغة ، دار صادر بيروت . ص : 79 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يحلم في هذه الرؤية بحياة أفضل ،ولا تتحقق هذه الحياة الا بالعمل

وبهذا يتضح لنا مما تقدم ان الشاعر القديم عندما شبه الطلل بآثاره الحضارية من كتابة ووشم وغيرهما كان يحاول ان يستميد الماضي ويستلهم فنه منه ،ونستشف من هذه الرؤية انتماءه الى ماضيه الانساني . وبالاضافة الى ذلك كان يرى ان الحياة منذ بدايتها حلقات يجب ان تتصل ، وبهذا الاتصال يمكن للشاعر ان يحلم بمستقبل افضل ،ويتغلب على احساسه بالفناء ،هذا الاحساس الذي تثيره في نفسه فكرة الطلل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث

صورة الحياة

في الطلل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما يلاحظ على الشاعر القديم ،في مقدماته الطللية ،انه في أغلب الاحيان يحاول ان يبعث نوعا من الحياة في تلك الاماكن التي يذكرها ،وغالبا ما يبدأ ذلك بانزال المطر . ثم نرى الطلل بعد ذلك يزخر بانواع من النبت ، ثم يعطينا بعد ذلك صورا لانواع مختارة من الحيوانات تأكل من هذا النبت الذي نبت فيها . ولا يكتفي بذلك بل يحدثنا عن الخصب الذي نتج عن خصب الارض ، ويتمثل في توالد هذه الحيوانات ،فيرسم بذلك عالما متكونا من الظباء وبقر الوحش والنعام ،ويصورها قطعانا يخلف بعضها بعضا تتبعها في الغالب صغارها ، وتصبح الحياة شبيهة الى حد ما بحياة الذين كانوا يسكنون الطلل .

ان الشاعر ، فيما يبدو ،كان يرى أن الطلل أثر لاناس مضوا ، وكان يؤلمه هذا المصير الذي ينتظر بني الانسان ،ولهذا كان يحاول ان يتغلب على هذا الاحساس بما يبعث من حياة في هذا المكان او ذلك ،ولكن الاحساس بالفناء يبرز بين الحين والآخر في هذهالحياة .

(1)

ان عنصر الماء من اهم العناصر الطبيعية التي انشغل بها الشاعر القديم سواء كان ذلك في الطلل ام في غيره من الموضوعات الاخرى التي تناولها الشاعر . قد يقال ان انشغال الشاعر بهذا العنصر يعود الى انه كان مصدر حياة بالنسبة لبدوي مثله ، يسكن صحراء قاحلة لا ينزل بها المطر الا قليلا . هذه الحالة هي التي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جملته لا يكاد يستقر الا في مكان يتوفر فيه الماء ، وما ينتج عنه من خصب وحياة ، ولذلك نجده يتحدث عنه كثيرا . ولكن عنصر الماء بالنسبة الى الشاعر كان وسيلة فنية عبر من خلالها عما يحس به من تناقض في الحياة ، فكان الماء عنده عامل خراب ودمار يغير معالم الطلل ، التي يابى ان تتغير ، وكان عنده عامل خصب وحياة يبعث في الطلل حياة جديدة تبهج نفسه وترضيه ، وكان الشاعر أحيانا يعبر عن هذا الاحساس المزدوج في البيت او البيتين من مقدماته الطللية ، فيعبر بذلك عن تناقض الحياة .

وربما نجد تفسير هذا الاحساس المزدوج في بعض الآيات القرآنية التي تتحدث عن عنصر الماء وما يفعله بالارض ، يقول تعالى : (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح ...) (2) ويقول : (الذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون) (3) .

ولعل الشاعر ينطلق من الماضي في احساسه بأن الماء عامل خراب ودمار ، وهو كثيرا ما ينطلق من الماضي ، سواء رجع هذا الماضي الى الطوفان الذي وقع في عهد نوح عليه السلام ، ام رجع الى سيل

---

1) انظر : في هذا المعنى : جبايول مصطفى عبد اللطيف . الحياة والموت في الشعر الجاهلي . دار الحرية . للطباعة . 1977 . ص:178 .

2) سورة الكهف ، آية : 45 . وانظر تفسير هذه الاية : الزمخشري ، الكشاف . - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع 1979 . 1 . ص : 486 .

3) سورة الزخرف آية : 11 .

Center of Thesis Deposit

العرم الذي هدم سد مأرب ،وبدل حالة قوم سبأ من حياة فيها نعيم ورخاء ، الى حياة بؤس وشقاء ،كما روى ذلك القرآن الكريم.(1)

والذي يقرأ حديث بعض الشعراء عما تفعله الامطار والسيول بالطلل يكاد يحس احساسا مشابها لما قام به الطوفان ،او لما نتج عن سيل العرم . ولكننا نحس في الغالب بان الشاعر يحاول ان يبني على أنقاض تلك الحياة حياة جديدة أخرى ، او بعبارة أخرى يجعل السيول والامطار تمحو معالم الطلل ،وتبعث في الوقت نفسه فيه حياة جديدة تتمثل في انبات العشب ، وما ينتج عنه من خصب وحياة . يتحدث طرفة بن العبد عما تفعله السيول بالربع، فتحس هذا الاحساس المزدوج . يقول طرفة :(2)

لعبت بعدي السيول بـــه وجرى في زونق رهمـــه
جعلته حم كلكلهـــا لربيع ديمة تثمـــنه

فهو يرى ان السيول لعبت بالطلل فدرسته وعفته ،ولكن في الوقت ذاته يرى أن الماء ينساب ضعيفا في نبات حسن . وعندما نقرا البيت الثاني نحس احساسا مغايرا تماما ،فهذه الامطار والسيول جعلت هذا المكان أمام صدرها ،فهي لا تاتي على شيء الا حطمته وخربته .

والنابغة الذبياني يعتبر عمل الامطار شبيها بعمل البلى فيقول:(3)

---

1) سورة سبأ آية 15 وما بعدها .

2) ديوان طرفة بن العبد : ص: 149 .

3) ديوان النابغة ،تحقيق بن عاشور ،ص: 184 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقفت بربع الدار قد غير البلى　　معارفها والساريات الهواطل

ويرى النابغة ان ما تفعله الرياح في تغيير معالم الطلل هو نفس ما تفعله الامطار، فيقول : (1)

تعاورها الرياح ينسفن تربها　　وكل ملث ذي أهاب غيب راعد

ويقول في بيت آخر : (2)

تعاورها السواري والغوادي　　وما تذري الرياح من الرمال

ويرى عبيد بن الابرص ان الرياح قد اشتركت مع الامطار في محو آثار هذه الاطلال ،فيقول : (3)

قد جرت الريح به ذيلها　　عاما وجون مسبل هاطل
حتى عفاها صيب رعده　　داني النواحي مسبل وابل

ويقول عبيد بن الابرص في طلل آخر قولا مشابها : (4)

غيرتها الصبا ونفح جنوب　　وشمال تذرو دقاق التراب
فتراوحنها وكل ملث　　دائم الرعد مرجحن السحاب

---

1) ديوان النابغة ،تحقيق بن عاشور ، ص : 89 .
2) ديوان النابغة ،تحقيق بن عاشور ، ص : 203 .
3) ديوان عبيد بن الابرص، ص : 97 - 98 .
4) المصدر نفسه . ص : 21 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى طرفة بن العبد ان الرياح الشديدة التي تثير الحصى قد لزمت هذه الاماكن كما لزمها المطر الشديد : (1)

أربت بها ناجة تزدهي الحصى واسحم وكاف المشي هطول

ويكاد الشعراء يتفقون في الاحساس بما تفعله الامطار بالطلل ، فامرؤ القيس يرى ان ما تفعله الامطار وما يفعله الزمن شئ واحد فيقول : (2)

قف على الدار التي غيرها بارح القطر وتكرار الحقب

ويقول في قصيدة أخرى : (3)

ديار لسمى عافيات بذي خال الم عليها كل اسحم هطال

وزهير بن ابى سلمى يؤكد في الشطر الاول من البيت ان الديار لم تندرس ولم يؤثر فيها القدم ، ثم يستدرك في الشطر الثاني منه ، ويقرر أن الرياح والامطار الدائمة قد غيرت منها المعالم ، يقول زهير : (4)

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم

وقد انكر بعض النقاد القدماء ، الذين تأثروا بالمنطق في دراسة

---

1) ديوان عبيد بن الابرص ، ص : 117 .
2) ديوان امرئ القيس . ص : 402 .
3) المصدر نفسه . ص : 99 .
4) ديوان زهير . ص : 145 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر ،على زهير اسلوبه هذا في الجمع بين النفي والاثبات ، وعدوه من عيوب الشعر ، (1) ولم يدركوا ان القصيدة الجيدة هي "بناء تناقض". (2)

واذا كان بعض الشعراء يتالمون لما تفعله الامطار بالطلل ، فاننا نحس من آخرين انهم يحبسون نزول المطر عليه ،وكأنهم يحسون بان الطلل يبعث في نفوسهم وحشة تذكرهم ،فيما يبدو ، بمصير الانسان في هذه الحياة . فهذا لبيد يعتبر الامطار رزقا للطلل ،فيدعو بالسقيا له ويقول ان الاطلال رزقت بامطار الربيع ،فهي تنزل عليها ليلا وصباحا ومساء ، ينزل عليها المطر الشديد حينا ،ويصيبها المطر الخفيف حينا أخر ، فينتج عن كل ذلك أنواع من النبت ،كما ينتج عنه خصب يتمثل في توالد الظباء والنعام : (3)

رزقت مرابيع النجوم وصابها   ودق الرواعد جودها فرهامها

من كل سارية وغاد مدجن   وعشية متجاوب ارزامها

فعلا فروع الايهقان واطفلت   بالجهلتين ظباؤها ونعامها

وليس من الصدفة ان نجد بعض الشعراء يدعون بالسقيا للطلل ، كما يدعون بذلك للقبر ،وهذا يدل على ان القبر والطلل يلتقيان في فكرة البلى والفناء ،فهذه الخنساء تطلب أن يسقى قبر أخيها صخر ،فتقول : (4)

---

1) انظر : قدامة بن جعفر . نقد الشعر . ص : 141 .

2) انظر : احسان عباس ،فن الشعر ،ص : 120 .

3) ديوان لبيد بن ربيعة . تحقيق احسان عباس . ص : 298 .

4) ديوان الخنساء . ص : 82 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسقى بلادا ضمنت قبره   صوب مرابيع الغيوث السوار

وهذا النابغة الذبياني يدعو في رثائه للنعمان بن الحارث الغساني بالسقيا لقبره ،فيقول :(1)

سقى الغيث قبرا بين بصرى وجاسم   بغيث من الوسمي قطر ووابل
ولا زال ريحان ومسك وعنبر   على منتهاه ديمة ثم هاطل

وهذا المتلمس يطلب من صاحبيه ان يمرا ،بعد موته ، بقبره ويدعوا له بالسقيا ،فيقول :(2)

فمرا على قبري فقوما فسلما   وقولا سقاك الغيث والقطر يا قبر

ولا يلتقي القبر والطلل في نزول المطر عليهما فحسب ،بل نجدهما يلتقيان كذلك عند بعض الشعراء في الاحساس بما تفعله الرياح فيهما فالخنساء تتالم لما تفعله الرياح برمس اخيها صخر ،فتقول :(3)

رهينة رمس قد تجر ذيولها   عليه سوافي الرامسات البوارح

ولا عجب في ذلك ،فبعض الشعراء يشبه الطلل بالقبر ،ويقول انه يحس اثناء وقوفه على الاطلال وكانه تذكر حبيبا في قبره . يقول سلامة بن جندل :(4)

---

1) ديوان النابغة . تحقيق بن عاشور . ص : 190 .
2) لويس شيخو . شعراء النصرانية . ج 1 . ص : 347 .
3) ديوان الخنساء . ص : 30 .
4) ديوان سلامة بن جندل . ص : 99 - 100 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

امن دمنه عادية لم تانس بسقط اللوي بين الكثيب فمسعس
ذكرت بها سلمى فظلت كانني ذكرت حبيبا فاقدا تحت مرمس

ولا يكتفي بعض الشعراء بانزال المطر على الطلل فحسب ،بل نجدهم يرسمون لوحات للسيول وما يعلوها من زبد ، فيشبهونها بانواع من الثياب نسجت في مدن مشهورة بذلك ،ثم يعقدون سوقا لبيع تلك الثياب ، مما يدل على ان الشاعر لا يريد للطلل حياة عادية ،وانما يريد له حياة فيها صخب الاسواق . يقول سلامة بن جندل في هذا المعنى :(1)

فكان مدفع سيل كل دميثه يعلى بذي هدب من الاعلاق
من نسج بصرى والمدائن نشرت للبيع يوم تحضر الاسواق

وواضح مما تقدم ان عنصر الماء في الطلل كان يرمز عند الشعراء الجاهليين الى الاحساس بالفناء ،والى حب الحياة ايضا ،فكان الشاعر ينزل المطر ،ويتألم لما ينتج عن هذا المطر من تغيير المعالم ، ولكن النتيجة كانت دائما عند اغلب الشعراء حياة جديدة يتخيلها الشعراء في اطلالهم ،فيتحول ألمهم في النهاية الى بهجة وسرور عندما يرون أنواعا من النبت والزهور تكاد تعم هذه الاطلال .

(2)

والشاعر الجاهلي ،في الغالب ،عندما يتحدث عن نزول المطر

---

1) ديوان سلامة بن جندل . ص : 139 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

على الطلل ،يعقب بالحديث عن النبات الذي ينتج عنه ، واحيانا يحدثنا عن لون هذا النبات وأنواعه وما يتخلله من زهور ،ويصبغ الطلل عند بعض الشعراء حديقة مزهرة . ولعله بذلك يرمز الى حياة الانسان ،فهو ينبت وينمو كما ينبت العشب وينمو: "فالنبت ينزل منزلة النشأة للاحياء جميعا ،لا فرق في ذلك بين نبات وحيوان وانسان وفي التنزيل : (والله انبتكم من الارض نباتا) . وتقول انبت الله البقل والصبي نباتا تعطف أحدهما على الآخر ،لانهما أثر لفعل واحد هو النبات ،ويجري مجرى اسمه ،ويصدق على الشجر كما يصدق على البشر سواء بسواء ".(1)

يتحدث زهير بن ابى سلمى عن طلل من أطلاله فيذكر امطار الربيع وما ينتج عنها من نبات مزهر يشبه الوشي ،ويعود مرعى لقطيع من حمر الوحش ،فيقول : (2)

في عانة بذل المهاد لها   وسمي غيث صادق النجم
فاعتم وافتخرت زواخره   بتهاويل كتهاويل الرقم

وابنه كعب يتمنى ان تسوق الرياح السحب ،لتنبت في طلله انواع من النبات والزهور ،فيقول : (3)

---

1) لطفي عبد البديع ،عبقرية العربية ،ص: 69 .

2) ديوان زهير . ص: 382 - 383 .

3) ديوان كعب بن زهير . ص: 234 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لا زالت الريح تزجى كل ذي لجب   غيثا اذا ماونته ديمة دفقـــا
فانهت الفغو والريحان وابلــه   والايهقان مع المكنان والذرقا

اما طلل الحطيئة فيكثر نبته ويطول ، وينبت فيه هذا النـــوع من الزهور الذي يميل الى الشمس ، ويدور معها ، ثم يشبه الحطيئـــة هذا كله بحي من العرب يظهر انه اشتهر بتجارة الثياب ، وبسط أنواعـــا منها فيها ضروب من الوشي ، ويصبح الطلل بذلك كله سوقا يجري فيها البيع والشراء . يقول الحطيئة : (1)

عفا مسحلان من سليمى فحامرة   تمشي به ظلمانه وجـــآذره
بمستاسد القريان جوّ تلاعـــه   فنواره ميل الى الشمس زاهره
كان سليحا نشرت فيه بزهـــا   برودا ورقما فاتك البيع تاجره

وصورة الحطيئة هذه تدل بوضوح على أن الشعراء يرغبون في خلق حياة جديدة ، يعبرون عنها من خلال هذا النبات . ويدل انتقال الشاعر من النبات الى اناس يبيعون ويشترون على ان النبت يرمز الى تلك الرغبـــة

ويكاد الشعراء في حديثهم عن هذا النبت يجمعون على ان يكـــون اخضر زاهيا ، فالمرقش الاكبر يرى الطلل خاليا من اهله . والى جانب ذلك يرى النبت قد عم المكان ، وكثرت زهوره ، فيقول : (2)

---

1) ديوان الحطيئة ، ص : 180 .
2) المفضلية . 54 ، ص : 237 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اضحت خلاء نبتها ثئـــد   نور فيها زهـوه واعـــتم

والنابغة الذبياني يرى العشب في طلله كثيرا متلبدا من أثــر الماء ويتخيل فيه أنواعا من الحيوانات ترعى هذا النبت ،فيقول : (1)

أثيث نبته جعد ثـــراه   به عوذ المطافل والمتالي

وطرفة بن العبد يؤكد هذا المعنى ،فيرى ان الخصب قد عــم الرمال المرتفعة حول الطلل ،كما عم الاماكن المنخفضة حيث ينحـدر الماء ويتجمع : (2)

فالكثيب معشب أنـــف   فتناهيه فمرتكمــــه

وهكذا يتضح لنا ان هؤلاء الشعراء على اختلافهم يتفقون على ان يكون النبات في أطلالهم اخضر مزهرا ،ونحس انهم يتحدثون عن ذلــك في بهجة وسرور ،حتى كأن هذه الحياة الجديدة المتمثلة في النبــات قد خففت من حزنهم على اصحاب الطلل ،وجعلتهم ينسـون تألمهــم لما تفعله الامطار من تغيير معالم هذا الطلل .

(3)

ان بعث الحياة في الطلل يبدأ عند الكثير من الشعراء بانزال المطر

---

1) ديوان النابغة ،تحقيق محمد بن عاشور . ص: 203 .

2) ديوان طرفة . ص: 150 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يليه انبات المشب ، ثم نجد الطلل بعد ذلك مسكنا لبعض الحيوانات التي يتخيلها الشاعر ترعى هذا المشب . ولكن هذه الحيوانات تنحصر ،او تكاد ، في ثلاثة أنواع : الظباء ، وبقر الوحش والنعام . وقد يتساءل الباحث عن سبب اقتصار الشعراء على هذه الانواع . هل كانت لها قدسية في تاريخ العرب القديم فاحب الشاعر ان ترتاد طلله المقدس ؟ ام أنه اختارها لسبب غير هذا ؟ اما الغزال فانه كان مقدسا في القديم ، ويؤكد بعض الباحثين : " ان حرص الشعراء على ان لا يقتل الغزال في قصائدهم كان يعني انه معبود "(1) . وكان العرب يعتقدون ان النعام من دواب الجن . (2) وربما كان لبقر الوحش نصيب من هذه المعتقدات . (3) ومهما يكن من امر فان هذه الحيوانات كانت ترمز عند الشاعر الى شيء خاص .

وقد كان الشعراء يرون ان هذه الاطلال اصبحت موحشة ، فسكنتها حيوانات وحشية ، ويشير النابغة الذبياني الى هذا ، فيرى ان طلله

---

1) احمد كمال زكي . الاساطير، دار العودة بيروت . ط: 2 . 1979 ص: 73 .

2) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج: 6 ص: 816 .

3) يقول عبد الجبار المطلبي في كتابه : مواقف في الادب والنقد . ص: 80 .
" وما ان نطل على مطلع التاريخ البشري على شواطيء دجلة والفرات في أيام السومريين فنستقرئ الادب ونستمع الى الشعراء حتى تطالعنا صورة الثور في اطار غريب من القداسة والتبجيل ، فهو اله يرمز الى القوة والخصب ، وهو اله العواصف ايضا ، واسمه "أنليل" وعبدوا البقرة الهة معه ".

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اصبح يسكنه قطيع من بقر الوحش ، وانه تعهده ماطر الربيع فوشاه بانواع من النبت . يقول النابغة : (1)

تابد لا ترى الاصـــــــوارا   بمرقوم عليه السهد خـــال

وبعض الشعراء يحسون بان الطلل كان في يوم ما اهلا ببني الانسان ويرون انه لا يمكن ان يبقى خاليا من اي نوع من الحياة ، كما يرون في هذه الحيوانات بديلا للانسان المرتحل . يقول عبيد بن الابرص مقارنا بين من كان يسكن الطلل في الماضي ، وبين من اصبح يسكنه في الحاضر: (2)

أو طنتها عفر الظباء وكانت   قبل أوطان بدن أتـــراب

ويقول خراشه بن عمرو العبسي قولا شبيها بما سبق : (3)

وبدل من ليلى بما قد تحلـــه   نعاج الملا ترعى الدخول فحوملا

ويرى لبيد بن ربيعة في طلله مثل ذلك ، فيقول : (4)

تحمل أهلها وأجد فيهـــا   نعاج الصيف أخبية الظـــلال

ومن الواضح ان هذه الحيوانات بديل للعالم الذي افتقده الشاعـــر في الطلل . ويلح بعض الشعراء على ان تكون في صورة الحياة حركـــة وخصب فسلامة من جندل يرى هذه الحيوانات تاكل هذا النبت الكثـــير

---

1) ديوان النابغة . تحقيق بن عاشور ، ص : 203 .

2) ديوان عبيد . ص : 22

3) المفضلية : 121 ، ص : 405 .

4) ديوان لبيد ، تحقيق احسان عباس ، ص : 73 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الذي ابتل بالندى ، ويعطينا صورة حركة الاكل ، فيقول : (1)

يسمرن وحفا فوقه ماء الندى والنبت كل علاقة ونطاق
ولقد هبطت الغيث حل بها الندى يرفقن فاضله على الاشداق

ونجد شبيهها به عند عبيد بن الابرص الذي يقول : (2)

دار بها عين النعاج رواتعا تقرو ساربها مع الآرام

ويقول المخبل السعدي في هذا المعنى : (3)

تقرو بها المسارب واختلطت بها الآرام والأدم

وبعض الشعراء لا يعطون صورة لهذه الحيوانات وانما يكتفون بذكر آثارها ، فامرؤ القيس مثلا يقول : (4)

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

ويقف مصطفى ناصف عند هذا البيت ، ويستنتج أن ذكر الحب يدل على رغبة الشاعر في الحياة . يقول مصطفى ناصف : " وبيت امرئ القيس يستوقفنا على الخصوص ، عند فكرة الحب ، وهي تعبر عن رغبة لا شعورية غالبا في انبات حياة جديدة ، ويحاول امرؤ القيس ، بعبارة أخرى ، ان يتصور الحياة طبقات يختلف بعضها عن بعض ، فذكر الحب ، اذن يمكن ان يدل بايماءة غير بعيدة تماما ، على هذه الرتب ، فالحياة متداخلة الرتب ينفذ بعض طبقاتها في بعض ، ويؤدى كل نمط منها الى ماعداه

1) ديوان سلامة بن جندل ، ص : 146 - 147 .
2) ديوان عبيد ، ص : 122 .
3) المفضلية ، 21 ، ص : 114 .
4) ديوان امرئي القيس . ص : 61 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن ثم تكون الآرام طبقة من الحياة ،تؤدي الى طبقة أخرى تغيب في أثنائها ". (1)

وفكرة الخصب التي يحرص بعض الشعراء على ان تعم الطلل ، والتي تتمثل في توالد هذه الحيوانات ،نجدها تتمثل عند بعضهم في الجمع بين الذكر والانثى . ومن ذلك قول النابغة الذبياني : (2)

بها كل ذيال وخنساء ترعوي الى كل رجاف من الرمل فارد

ولكن بعضهم يعطي صورة هذه الحيوانات وهي مع اولادها ، فيقول زهير بن ابى سلمى مثلا : (3)

بها العين والآرام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

ويرى مصطفى ناصف في هذا البيت اشارة الى الامومة بصفة خاصة ،فيقول : " واذا وقفنا .. عند بيت زهير ،وجدناه يعبأ ، على الخصوص ،بان يقول : ان الظباء يخلف بعضها بعضا ،اذا مضى قطيع منها جاء قطيع آخر ،اما اولادها فتنهض من مرابضها لترضعها امهاتها ولذلك كانت فكرة الامومة قلب هذا البيت"(4) . ولعل لفظ الخلفة في بيت زهير يشخص ما يريده الشاعر للطلل ، اذ ان

---

1) مصطفى ناصف ،قراءة ثانية لشعرنا القديم ،ص : 57 .
2) ديوان النابغة ، تحقيق بن عاشور ، ص : 90 .
3) ديوان زهير . ص : 5 ..
4) مصطفى ناصف قراءة ثانية لشعرنا القديم . ص : 57 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من بين معاني الخلفة أن ينبت الرطب في أصل اليابس .(1) ومعنى هذا ان هذا اللفظ يرمز الى فكرة ابنات حياة جديدة ،ويوجد هذا اللفظ في طلل لبيد بن ربيعة الذي يقول فيه :(2)

والخاذلات مع الجاذر خلفة والادم حانية مع الغزلان

ويشخص كثير من الشعراء فكرة الامومة التي ترمز الى الخصب واستمرار الحياة في هذه الحيوانات التي ترتاد الاطلال ، ومن هؤلاء الشعراء لبيد بن ربيعة الذي يقول :(3)

والعين ساكنة على اطلائها عوذاتاجل بالفضا ،بهها مها

فهو يرى بقر الوحش حديثة الولادة ،وهي ساكنة عاطفة على اولادها ويحاول كعب بن زهير ان يرسم صورة رعاية هذه الظباء لاولادها الضعاف ويسمعنا مع هذه الصورة اصوات هذه الظباء ،فيقول :(4)

فلم تزل كل غناء البغام بـه من الظباء تراعى عاقدا خرقا

اما أوس بن حجر فلا يكتفي بترب واحد من ابناء بقر الوحش والظباء ،وانما يذكر ثلاثة اتراب ،فيقول :(5)

---

1) ابن منظور ،لسان العرب ،مادة (خلف) .
2) ديوان لبيد . ص: 140 .
3) المصدر نفسه . ص: 140 .
4) ديوان كعب بن زهير . ص: 235 .
5) ديوان اوس بن حجر ،تحقيق محمد يوسف نجم ،دار صادر بيروت،ط/2 . 1967. ص: 63 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بها العين والآرام ترعى سخالها ... فطيم ودان للفطام وناصف

ويصور لنا زهير بن ابي سلمى بقر الوحش والظباء وهي تسوق اولادها فيقول : (1)

تمتاده عين طمصة ... تزجي جآذرها مع الادم

ومثله قول لبيد بن ربيعة : (2)

فنمع فالنبيع فذ وسدير ... لآرام النعاج فيه سخال

واذا كان بعض الشعراء ارادوا ان ترتاد الظباء وبقر الوحش أطلالهم فان آخرين آثروا النعام ، فلبيد بن ربيعة يرى ان اطلاله قد خلدت ، ولم يخلد فيها اهلها ، واصبح يسكنها جماعة متفرقة من النعام فيقول : (3)

خلدت ولم يخلد بها من حلها ... وتبدلت خيطا من الاحدان

وطلل لبيد هذا يدل بوضوح على ان فكرة الخلود كانت تشغل بال الشاعر الجاهلي اثناء وتوقفه على الاطلال .

وتجتمع صورة النعام مع صورة الظباء عند عبيد بن الابرص حيث يقول : (4)

---

1) ديوان زهير ، ص : 382 .
2) ديوان لبيد ، احسان عباس . ص : 267 .
3) ديوان لبيد ، احسان عباس . ص : 267 .
4) ديوان عبيد بن الابرص . ص : 140 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تبدل بعدى من سليمى واهلها نعاما ترعاه وادما ترائكـــــا

ومثلما تخيل الشعراء الظباء وبقر الوحش مع اولادها كذلك تخيلوا النعام ،فعبيد بن الابرص تخيل مجموعة من النعام تسوق افراخها ،عندما قال : (1)

بدلت منهم الديار نعامـــا خاضبات يزجين خيط الريال

وهكذا يتضح ان خصب ارض الطلل يصحبه في الغالب ،خصـــب الحيوان الذي يرتاده . وتبرز من خلال ذلك، فكرة الامومة التي يقدسها الشاعر ،فيما يظهر ،والتي ترمز للخصب واستمرار الحياة .

(4)

وقد رسم الشعراء هذه الحيوانات التي ترتاد الطلل في صـــورة مختلفة . ونلاحظ على الطابع العام لهذه الصورة انها تتسم بالحركـــة واللون ،كما نلاحظ ، وهذا اهم ،ان الشعراء على اختلافهم يحاولـون ان ينزعوا من هذه الحيوانات صفة الوحشية ،وذلك بواسطة الاوصـــاف التي يطلقونها عليها ، بل انها تتحول عند بعضهم الى صورة انسـان مما يصبح معه الطلل بواسطة هذه الصور يعج بني الانسان . ونجـــد آخرين عند تشبيههم الحيوان بالانسان يضفون على هذا الانســـان

---

1) ديوان عبيد بن الابرص . ص : 106 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نوعا من القداسة من خلال الصور . وقد يدل هذا على ان الشاعر يحلم بعالم مثالي يعبر عنه عن وعي او عن غير وعي بواسطة صور هذه الحيوانات.

يشخص المرقش الاصغر الحركة واللون معا ، وذلك حين يرى الظباء تسوق اولادها ، فيذكر الأحمر ، ويذكر الاشد حمرة ، ويقول : (1)

تزجي بها خنس الظباء سخالها جآذرها بالجو ورد واصبح

ويتخيل الحارث بن حلزة انعكاس الشمس على بقر الوحش ، فيصبح لونها شبيها بلون الشمس ، ويقول : (2)

لا شيء فيها غير اصورة سفع الخدور يلحن كالشمس

وبالاضافة الى عناية الشعراء بالحركة واللون ، فان لبعضهم عناية بابراز عاطفة الامومة ، فعبيد بن الابرص يرى الظباء تلمع الوانها لمعان الفضة ، ولكنها في الوقت نفسه تحنو على اطفالها ، حيث يقول : (3)

وظباء كانهن أباريق لجين تحنو على الاطفال

وتقترب صور هذة الحيوانات من الانسان عندما يتخيلها الشاعر صور حيحوانات داجنة تعيش معه ، وينتفع بها ، فالمخبل السعدي يشبه

---

1) المفضلية : 55 . ص : 241 .

2) ديوان الحارث بن حلزة . ص : 24 ، والمفضلية : 55 ، ص : 132 .

3) ديوان عبيد بن الابرص . ص : 106 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الغزلان بأولاد الظبان أو الممزى ،فيقول : (1)

وكأن أطلاء الجآذر والغزلان حول رسومها البهم

وعميرة بن جمل يراها في صورة ابل حديثة الولادة ،فيقول (2)

وبالشرف الاعلى وحوش كأنها على جانب الارجاء عوذ هجان

وزهير بن ابى سلمى يشبه الثيران الوحشية بابل مطلية بالقطران حيث يقول : (3)

كأن أوابد الثيران فيها هجائن في مغابنها الطلاء

وتقترب صور هذه الحيوانات من الانسان اكثر ،حين يتخيلها الشاعر ترتدي ثيابا ، سواء كان ذلك في حركتها ومصارعاتها او لونها ، يرى عميرة بن جمل السباع تتصارع ،فيشبه الغبار الذي تثيره بانواع من الثياب حين يقول : (4)

قفار مروراة يحار بها القطا يظل بها السبعان يمتركان
يثيران من نسج التراب عليهما قميصين اسماطا ويرتديان

---

1) المفضلية : 21 ،ص : 114 .
2) المفضلية : 64،ص : 259 .
3) ديوان زهير ،ص : 58 .
4) المفضلية : 64 ، ص : 259 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويرى خراشة بن عمرو العبسي الخطوط التي على ظهور بقر الوحش فيتخيلها تلبس ثيابا بيضا لها ذيول ، حيث يقول : (1)

ملمعة بالشام سفعا خدودها كأن عليها سابريا مذيلا

ويراها عوف بن عطية تلبس جيد الثياب الرقيقة ، فيقول : (2)

كان الظباء بها والنعاج أليسن من رازقي شعارا

ويتخيلها النابغة الذبياني ثيابا يمنية مخططة . حيث يقول : (3)

كان كشوحهن مبطنات الى فوق الكعوب برود خال

وتتحول صور هذه الحيوانات عند بعض الشعراء الى صورة الانسان مما يدل على ان الحيوان في الطلل يرمز الى حياة الانسان . ولكن هذا الانسان يتميز عندهم ، في الغالب ، بصفة من الصفات ، فالمرقش الاكبر يشبه بقر الوحش بجماعة من الفرس يلبسون القلانس اذ يقول : (4)

أمست خلاء بعد سكانها مقفرة ما بها من أرم
الا من العين ترعى بها كالفارسيين مشوا في الكمم

ويشبه بشر بن ابي خازم الثيران الوحشية . وهي تعدو ، بتجار

---

1) المفضلية : 121 . ص : 405 .
2) المفضلية : 124 . ص: 413 .
3) ديوانه : ص : 79 .
4) المفضلية . 49 ، ص : 229 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قوم من قدماء العرب يسمون الانباط يلبسون البرانيس فيقول : (1)

تمشي بها الثيران تردى كانها   دهاقين انباط عليها الصوامع

ونكاد نحس بنوع من القداسة المرتبطة بالدين ،عندما نرى سلامة ابن جندل يشبه بقر الوحش بقوم من شتى قبائل العرب اجتمعوا على النصرانية ،وسموا انفسهم " العباد " ،تخيلهم الشاعر يلبسون نوعا من الاحْذية يسمى الامواق ،فيقول : (2)

فترى النعاج بها تمشي خلفة   مشي العباديين في الامواق

ولكن الطلل يتحول الى معبد مقدس ،تودي فيه الطقوس الدينية وتتخيل الحطيئة يصلي فيه ضمن صورة يرسمها لبقر الوحش ،فهو ياكل نوعا من النبات فيتخيله جماعة من النصارى يؤدون الصلاة وهم في حالة سجود ،حيث يقول : (3)

بها العين يحفرن الرخامى كانها   نصارى على حين الصلاة سجود

واذا كان بعض الشعراء ،قد اضفوا على الطلل من قداسة الدين فان آخرين قد تحول الطلل عندهم الى ميدان صراع ،وذلك من خلال صور خاصة لهذه الحيوانات ،وربما ابرزت هذه الصور اكثر ،الصراع الدائر في احساس الشاعر ،وهو ما يرمز اليه الطلل في اغلب الاحيان ،فخراشه

---

1) ديوان بشر بن ابي خازم . ص: 113 .

2) ديوان سلامة بن جندل . ص: 145 .

3) ديوان الحطيئة . ص: 363 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بن عمرو يرى قرون بقر الوحش فيشبهها بجنود يحملون رماحا مستقيمة وصلبة أيضا ،اذ يقول : (1)

كان جنودا ركزت حيث اصبحت   رماحا تعالى مستقيما واعصلا

ويراها النابغة الذبياني ،وهي تاكل اوراق الشجر ،مزينة برماح سود طوال فيقول : (2)

يكشفن الالاء مزينات   بغاب ردينة السحم الطوال

ومثلما اهتم بعض الشعراء برسم صور للظباء وبقر الوحش ، نجد بعضهم قد عنوا برسم صور للنعام في الطلل ،صور متشابهة احيانا ومختلفة أحيانا أخرى ،فالقتال الكلابي يشبه النعام بابل ضالة فيها جرب ، فيقول : (3)

وخيط نعامى الربد فيها كأنها   اباعر ضلال بآباطها نشر

وكما تخيل الحطيئة بقر الوحش في صورة نصارى يؤدون الصلاة تخيل عنترة العبسي صورة للنعام شبيهة بصورة الحطيئة ،فهو يتخيل النعام في صورة نصارى يطوفون بالمعبد حيث يقول : (4)

---

1) المفضلية . 121 . ص : 405 .
2) ديوان النابغة . ص : 203 .
3) ديوان القتال . تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة بيروت . 1961 . ص : 49 .
4) ديوان عنترة. تحقيق وشرح عبد الكريم المنعم عبد الرؤوف شلبي . من الطباعة القاهرة ، ص : 163 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تمشي النعام به خلاء حولـــه مشى النصارى حول بيت الهيكــل

وقد يصح ان تستنتج من هذه الصورة ، ومن صورة بقر الوحـــش التي مرت ،ان بعض الحيوان كان مقدسا عند العرب قداسة مماثلــة لهاتين الصورتين .

واذا استثنينا هذه الصورة الأخيرة فان صورة النعام عند باقـي الشعراء تكاد تكون منكرة ترمز الى القهر مرة ،والى الخراب الـذي يتحدث عنه الشعراء في الطلل مرة أخرى . فكعب بن زهير يشبـه نعامتين او ظليمين ،حين استعدا للجرى بعبدين حبشيين مقيدين ،استعدا للفرار خوفا من عذاب سيدهما ،فيقـول : (1)

كالحبشيين خافا من مليكهمــا بعض العذاب فجالا بعد ماكتفا

ان هذه الصورة توحي بالذل والخوف والقهر ،فلفظا " الحبشيين " و " مليكهما " يوحيان بذل العبودية ،ولفظا " العذاب " و " كتفا " بالاضافة الى استعدادهما للفرار ،يوحيان بالقهر والخوف .

وهناك صورة اخرى لعنترة العبسي يشبه فيها النعام بالعبـد الذي لا اذن له ،فيقـول : (2)

صعل يعود بذي العشيرة بيضه كالعبد ذي الفرو الطويل الاصلم

---

1) ديوان كعب بن زهير ،ص: 58 .

2) ديوان عنترة . ص: 147 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما باقي الشعراء فقد شبهوا النعام بالاماء . وربما يكون لون النعام هو الذي أوحى لبعض الشعراء بهذا التشبيه ، ولكن السياق يسمح لنا باستنتاج الدلالة السابقة . يرى أوس بن حجر النعام في الطلل فيتخيله اماء ألبسن نوعا من الثياب . فيقول : (1)

تمشي بها ربد النعام كما تمشي اماء سربلت جببا

وتختلف الصورة قليلا عند بقية الشعراء ، فطارفه بن العبد يرى النعام في صورة أماء تحمل الحطب ، فيقول : (2)

لا أرى الا النعام به كالاماء اشرفت حزمه

ويتخيلها الاخنس بن شهاب التغلبي في صورة اماء تساق وهي تحمل الحطب ، فيقول : (3)

تظل بها ربد النعام كانها اماء تزجى بالعشي حواطب

ان صورة الاماء التي تمثلهن يحطن الحطب ، والتي يشبه بها هؤلاء الشعراء النعام في الطلل ، تصادفنا في موطن آخر ، معبرة عن الخوف والفرار من الموت ، فالنابغة الذبياني يشبه الناقة في سرعتها باتان وحشية يلاحقها الصياد ، تتحاشى شجرا يعترض طريقها ، ويسمى

---

1) ديوان اوس بن حجر . ص : 1

2) ديوان طرفة . ص : 150 .

3) المفضلية ، 41 . ص : 204 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا الشجر " الاستن " . ويقال انه منكر الصورة ، ويسمي العرب ثمره " رووس الشياطين " . يشبه النابغة هذا الشجر باماء ، يمشين ويحملن الحطب ، فيقول : (1)

فانشق عنها عمود الصبح جافلة عدو النحوص تخاف القانص اللحما
تحيد عن استن سود اسافله مشي الاماء ، الغوادي تحمل الحزما

ولا شك ان النابغة كان متعاطفا مع هذه الاتان التي تشبه ناقته ، وانه كان يتمنى لها السلامة من الصياد . ولاشك ان هذا الشجر الذي يعرقل سيرها كان يقلق راحته بصورته المنكرة .. ان هذه الشجرة هي التي تحدث عنها القرآن الكريم عند حديثه عن طعام اهل النار (2) والتي سماها شجرة الزقوم ، ووصفها بقوله : (انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين) . (3)

وواضح من هذا ان صورة النعام في الطلل هي صورة هذه الشجرة في شعر النابغة ، وهي الشجرة التي قال عنها القرآن انها طعام اهل النار . ومن كل هذا نستدل على ان تشبيه النعام بهذه الصورة يرمز الى ما ترمز اليه الصور الاخرى في غير الطلل . وبالاضافة الى ذلك فان الأمة ترمز الى بعض المخلفات التي تبقى بعد خراب

---

1) ديوان النابغة ، تحقيق بن عاشور . ص : 220 .
2) انظر : الزمخشري ، الكشاف ، دار الفكر للطباعة والنشر ، 1979 ج : 3 . ص : 342 .
3) سورة الصافات آية 64 و 65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الديار، في بعض السياق عند بعض الشعراء ،فالمهلهل بن ربيعة يقول عند غزوه لبعض الاحياء : (1)

لم ادع غير اكلب ونساء   واماء حواطب وعيال

ويتحدث شاعر آخر عن قوم اهلكهم الدهر ،ولم يبق منهم الا الاماء ،فيقول : (2)

محلة سوء اهلك الدهر اهلها   فلم يبق منها غير آم خوالف

ويتبين من خلال هذا ان صورة النعام في الطلل تمثل احساس الشعراء بالفناء والخراب الذي يمثل جانبا من حديثهم اثناء وقوفهم على الطلل . وكأنهم يقولون انه لم يبق في هذا الطلل الا النعام الذي يشبه الاماء الحواطب اللاتي يرمزن بدورهن للفناء الذي اصاب اهل الطلل .

وهكذا يتضح ان صور عالم الحيوان في الطلل ليست غريبة عن عالم الانسان الشاعر ،عبر بها عن رغبته في الحياة واستمرارها ،وعبر بها عن قلقه من الموت والفناء ،ولكنه في الاكثر كان يغلب جانب الحياة بما يبعث في صوره من حركة وحياة وخصب . وكان الشاعر الجاهلي في كل ذلك مدركا لطبيعة الحياة بخيرها وشرها ،وكانت رؤيته تتسم

---

1) لويس شيخو ،شعراء النصرانية ،ج : 1 ،ص : 274 .
2) ابن منظور ،لسان العرب ،مادة (امة) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الفصـــل الـرابــع -

مـــلامـح المـرأة فـي الطلــــل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشمول والاستيعاب ،فلم تكن مقتصرة على جانب واحد منها .وبالاضافة الى ذلك كان يعبر عن هموم الانسان في مختلف العصور ، مما يمكن اعتباره عاملا من عوامل خلود الشعر الجاهلي عبر العصور .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من أهم الصور التي تواجه القارئ للشعر الجاهلي بكثرة هي صورة المرأة ، وقد عني الشاعر في تشبيه المرأة بتمدد الصور وتنوعها . وكانت تأتي صوره أحيانا جزئية ، يصور بعض اعضائها بأشياء أخرى يستمدها من الطبيعة ومن الكائنات الحية ، وأحيانا تأتي صوره شاملة حيث يشبه جسم المرأة كله باشياء يستمدها من الطبيعة ومن الكائنات الحية أيضا . وكانت المرأة في كل ذلك رمزا معقدا حاول كثير من الباحثين ان يتعرفوا اليه من خلا ل هذه الصور .

وسنحاول في هذا الفصل ان نتعرف الى المرأة من خلال هذا الشعر ، وربما نضيف الى ما وصل اليه هؤلاء الباحثون أشياء قد تنير طريق الباحثين الجدد الى هذا الرمز من خلا ل الصور الكثيرة للمرأة في شعرنا القديم .

(1)

ان الغزال أو الظبي من أهم الحيوانات التي شبه الشاعر المرأة بها ، وكانت الصورة تأتي أحيانا مجزأة ، حيث يستعير عضوا من هذا الحيوان ويمنحه لها ، وتتحول المرأة في بعض الحالات عند الشاعر الى ظبي ، حتى اننا لاندري أيتحدث الشاعر عن المرأة ام عن الظبي .

فعندما اراد امرؤ القيس ان يرسم جيد صاحبته قال : (1)

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

---

1) معلقته . الزوزني . ص : 78 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد شبه جيدها عندما ترفعه بجيد الرئم ، ولكنه رأى ان جيد الظبي مسرف في الطول فقصر منه بقوله (ليس بفاحش) . اما الحادرة فيعجبه هذا الطول ويركز عليه في هذا البيت : (1)

وتصدفت حتى استبتك بواضح   صلت كمنتصب الغزال الاتلع

فهو يصف عنقها عند اعراضها ببياض ناصع ومشرق مثل عنق الغزال الطويل ، وهو لهذه الصفات يسبي من ينظر اليه . ويتابعهم زهير في ذلك حيث يقول : (2)

فاما فويق العقد منها   فمن أدماء مرتعها الخلاء

وهكذا يتضح بان معظم الشعراء - عندما كانوا يجزئون الصورة . كان يعجبهم من الغزال المنق .

أما بعض الشعراء فقد لاحظوا ما يصدر عن الظبي من حركة اوتنفس او أي حالة من حالات وقوفه ، فنقلوا ذلك الى المرأة ، ولكننا نلاحظ ان معظم الشعراء لا تكاد تخلو صورهم من فكرة الامومة عند المشبه به - يقول بشر بن ابى خازم : (3)

تعرض جأبة المدرى خذول   بصاحة في أسرتها السلام
وصاحبها غضيض الطرف احوى   يضوع فؤادها منه بغام

---

1) المفضلية . 8 . ص : 44 .
2) ديوانه . ص : 62 .
3) المفضليه ، 97 . ص : 334 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهو في البيت الاول يصف وقونها أو تمرضها بظبية غليظة القرن تخلفت عن القطيع من أجل ولدها بموضع يسمى صاحة ،حيث يكثر نوع من الشجر يسمى السلام . وفي البيت الثاني يصف صاحبها اوولدها بانه غضيض الطرف وان لونه أحوى . ثم يتحدث عن عاطفة هذه الأم فيقول : ان صوت ولدها الصغير يكاد يذهب بقلبها . اما المنخل اليشكري فيرسمها في صورة تتعلق بحاسة الشم فيصف تنفسها بتنفس الظبي في حالة سرعة انفاسه وتتابعها فيقول : (1)

وشممتها فتنفست كتنفس الظبي البهير

ويشبهها ربيعة بن مقروم بظبية بكر ، ولكنه يربطها بخصب الأرض فهي ترعى في هذه المواضع الخصبة التي يذكرها فيقول : (2)

كانها ظبية بكرا طاع لها من حومل تلعات الجواوأودا

اما الاعش فيستعير لها ظبية من ظباء موضع يذكره ، ويركز على الامومة الحقيقية فيقول : (3)

ظبية من ظباء بطش خساف ام طفل بالجوغير ربيب

ويعجب طرفه بن العبد تشوفها في حالة ذعر فيقول : (4)

واذ هي مثل الرئم صيد غزالها لها نظر ساج اليك تواغله

---

1) الاصمعية : 14 ، ص : 60 .
2) المفضلية : 43 ، ص : 213 .
3) ديوانه : ص ، 26 .
4) ديوانه : ص ، 123 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصف المثقب العبدي جماعة من النساء بغزلان تخلفت عن القطيع بسبب اولادها ، وهي تتناول اغصان الشجر الدانية حيث يقول (1) :

كغزلان خذلن بذات ضال تنوش الدانيات من الغصون

ومثله في ذلك ابو دواد الايادي يصفهن على الهوادج ويقول انه لا يعتريهن ذبول او تغير في اللون فيقول : (2)

وتراهن في الهوادج كالغزلان ما ان ينالهن سهام

ويصفهن لبيد بن ربيعة ببقر الوحش ثم بظباء عاطفة على اولادها في البيت التالي : (3)

زجلا كأن نعاج توضح فوقها وظباء وجرة عطفا آرامها

وتكاد تختفي صورة المرأة أحيانا تحت ظلال المشبه به حتى نعتقد ان الشاعر انما يتحدث عن الغزال او الظبي ، حيث يوسع في حدود هذه الاستعارة ، يقول طرفة بن العبد : (4)

وفي الحي أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد
خذول تراعي ربربا بخميلة تناول اطراف البرير وترتدي

وطرفة في هذين البيتين يصف لون الظبي وحركته وهو ينفض ثمر هذا الشجر ويرتدي به ، ولا ينسى وصف خصب الارض بالاضافة الى فكرة

---

1) المفضلية : 76 . ص : 288 .
2) الاصمعية : 65 . ص : 186 .
3) معلقته . الزوزني . ص : 199 .
4) ديوانه . ص : 31 . 32 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الا مومة ، وهو في كل ذلك يحاول ان يرسم صورة لا مرأة .

يرى بعض الباحثين ان الغزال والمرأة الام تربطهما علاقة وثيقة بالشمس ،كما يرى ان هذا الثالوث كان مقدسا عند العرب ،ومن بين هذه العلاقات ان قرص الشمس يسمى الغزالة ،وان المرأة كانت تشبه كثيرا في شعرهم بالغزال ، ولهذا كان كل واحد من الثلاثة معبودا عندهم (1)

وربما يؤيد هذا الرأي ما جاء في شعر طرفة بن العبد ، فبعد ان استعار للمرأة ظبيا في البيتين السابقين ، نجده يصف هذه المرأة بالشمس بعد تشبيهها بالظبي مباشرة في البيتين التاليين حيث يقول (2) :

سقته اياة الشمس الا لثاته ... أسف ولم تكدم عليه باثمد
ووجه كان الشمس القت رداء ها ... عليه نقي اللون لم يتخدد

فهو في البيت الاول يرى ان ثغرها منحته الشمس شعاعها ، وفي البيت الثاني يرى ان الشمس القت رداءها على وجهها . ومعنى هذا ان صور الثلاثة الغزال والمرأة والشمس تكتمل عند طرفة في صورة واحدة .(3)

ولم ينفرد طرفة بتشبيه المرأة بالشمس فقد كانت هذه الصورة شائعة عند كثير من الشعراء الذين تصدوا لتشبيه المرأة ،فابو دواد الايادي يصف نساء يحجبن الوجوه ،فيقول انهن مثل الشمس يحجبها الغمام:(4)

---

1) انظر : احمد كمال زكي : الاساطير . ص : 83 .

2) ديوانه . ص : 31 - 32 .

3) انظر علي البطل . الصورة في الشعر العربي " دار الاندلس ."ط : 2 ، 1401 هـ . 1981 . ص : 70 وما بعدها .

4) الإصمعية : 65 . ص : 186 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويصن الوجوه في الميسناني كما صان قرن شمس غمـــام

ويراها النابغة كذلك فيقول :(1)

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالأسعد

ويقول أيضا : (2)

بيضاء كالشمس وافت يوم اسعدها لم تؤذ اهلا ولم تفحش على جار

وسويد بن ابي كاهل يصف ثغر امرأة بشعاع الشمس فيقول :(3)

حرة تجلو شتيتا واضحا كشعاع الشمس في الغيم سطع

ولا يكتفي سويد بوصف ثغرها بل يفعل مثل طرفة بن العبد فينتقل الى وجهها فيقول : (4)

تمنح المرآة وجها واضحا مثل قرن الشمس في الصحو ارتفع

والغزال او الظبي ، بالاضافة الى ذلك ، كان من أبرز الحيوانات التي تخيلها الشعراء ترتاد أطلالهم وترعى العشب في انحائها . وكانت صوره في الطلل مشابهة لصوره التي شبهوا بها المرأة ، واهم العناصر في هذا التشابه هي الامومة وخصب الارض التي يبرزهما الشعراء في كلتا الحالتين .

ومن الصور التي رسمها الشعراء للمرأة صورة البقرة الوحشية ، وكانت تشبيهاتهم مشابهة لصورة الظبي ، سواء من ناحية الصور الجزئية والشاملة او من ناحية الحركة وغيرها . أعجبت امرأ القيس نظرة البقرة الوحشيـــة ،

---

1) ديوانه . ص : 40 .
2) المصدر نفسه . ص : 49 .
3) المفضلية : 40 . ص : 191 .
4) المصدر نفسه . ص : 191 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه النظرة التي فيها حنان الام وعطفها فقال : (1)

تصد وتبدي عن أسيل وتتقي بناظرة من وحش وجرة مطفل

وشبه المزرد بن ضرار عيني المرأة بعيني مهاة في قطيع يقصد رياضا هطل فيها مطر غزير فيقول : (2)

وعيني مهاة في صوار مرادها رياض سرت فيها الغيوث الهواطل

ويتحدث قيس بن الخطيم عن مشية صاحبته فيشبهها بمشية البقرة الوحشية فيقول : (3)

تمشي كمشي الزهراء في دمث الرمل الى السهل دونه الجرف

ويصف سلامة بن جندل قينة عنده فيشبهها بمهاة فيقول : (4)

وعندنا قينة بيضاء ناعمة مثل المهاة من الحور الخراعيب

ويقول ثعلبة بن صعير في وصف امرأة : (5)

ولرب واضحة الجبين غريرة مثل المهاة تروق عين الناظر

ويرى عمرو بن الاهتم نساء يمتطين جمالا فيتمثلهن بقر الوحش في هذا البيت: (6)

كأن على الجمال نعاج قو كوانس حسراعنها الستور

---

1) المعلقة . الزوزني . ص : 78 .
2) المفضلية : 17 . ص : 94 .
3) الأصمعية : 68 . ص : 196 .
4) المفضلية . 22 . ص : 120 .
5) المصدر نفسه . 24 . ص : 131 .
6) المصدر نفسه . 123 . ص : 409 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويعطينا النابغة صورة جميلة لبعض النساء يركبن الهوادج ، ويعجبه فيهن نظرتهن التي فيها ذعر فيقول : (1)

كان على الحروج نعاج رمل   زهاها الذكر أو سمعت صياحا

واذا كان للظبي والمرأة علاقة بالشمس في مجال التصوير ، كما أسلفنا ، فان بقر الوحش يدخل أيضا في هذا المجال ، يقول الحارث بن حلزة مشبهها بقر الوحش في الطلل ، وقد ذكرنا ذلك في فصل سابق : (2)

لا شيء فيها غير أصورة   سفع الخدود يلحن كالشمس

ومما يلاحظ على صور بقر الوحش التي شبه الشعراء بها المرأة ان الشاعر ، في الغالب - اما ان يدخل عنصر الامومة في الصورة ، او يبرز خصب الارض فيها ، كما رأينا ذلك من قبل في صور الظبي . وبالاضافة الى ذلك فان بقر الوحش ثاني حيوانات الطلل ، وعناصر صورة في الطلل هي عناصر صوره في تشبيهه بالمرأة ، بل ان بعض الشعراء يرى ان بقر الوحش الذي يرعى في الطلل هو بديل للمرأة المرتحلة ، وقد اشرنا الى هذا في فصل سابق . حيث يقول خراشة بن عمرو العبسي : (3)

وبدل بن ليلى بما قد تحله   نعاج الملا ترعى الدخول فحوملا

---

1) ديوانه : ص . 27 .

2) المفضلية : ص . 55 ، ص : 132 .

3) المفضلية : ص : 121 . ص . 405 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وحيث يقول لبيد كذلك : (1)

تحمل أهلها وأجد فيها   نعاج الصيف أخبية الظلال

(2)

ومن الحيوانات التي تقترن صورها بالمرأة النغام ،بل اننا نجد عكس ما ألفناه في صور الظباء وبقر الوحش ،حيث تشبه النعامة بالمرأة فثعلبة بن صعير يشبه النعامة وهي جاثمة على بيضها بامرأة من قريش كشفت عن عن وجهها ورأسها ادلالا بحسنها حيث يقول : (2)

فبنت عليه مع الظلام خباءها   كالاحمسية في النصيف الحاسر

والشاعر هنا يصف ناقته فيشبهها بنعامة ،ثم يشبه هذه النعامة بامرأة . يقول مصطفى ناصف في شرح هذا البيت :" أي ان النعامة بسطت جناحيها على البيض مع الظلام ،فالناقة لذلك هي الأم التي تجمع شتات الوحدات وتحفظها وترعاها . ويمكن ان تتصور كيف يرفض الشاعر طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة في عصره ، وكيف يهفو ،مدركا او غير مدرك تماما ،الى حلم الامومة العامة " ويقول بعد ذلك :" ولأمر ما آثر الشاعر سيدات قريش ، وجعل السيدة التي اختارها جميلة ولودا ،فتحقق حلم نادر، واصبح من الممكن ان تكون الحسناء مثمرة على غير ما يتوقع العربي في بعض

---

1) ديوانه . تحقيق احسان عباس . ص : 73 .

2) المفضلية . 24 . ص : 130 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

خياله وقصصه . فجمال هذه السيدة ضاعف من قدرتها على الانجاب وأصبح الجمال هو وفرة الحظ من الحياة ،وبدت هذه السيدة كالوسط الذي يلتف حوله البيض"(1)

ومن الصور الغريبة فيما يتعلق بالنعام ما اشرنا اليه من قبل حين تحدثنا عن الحيوان الذي يرتاد الطلل ،فقد شبه اوس بن حجر النعام الذي رآه في الطلل باماء يرتدين نوعا من الثياب : (2)

تمشي بها ربد النعام كما   تمشي اماء سربلت جببا

ويرى طرفة هذا النعام الذي في الطلل فيشبهه باماء يحملن الحطب فيقول : (3)

لا أرى الا النعام به   كالاماء أشرفت حزمه

وكذلك الاخنس بن شهاب التغلبي يشبه نعام طلله باماء تساق وهي تحمل الحطب : (4)

تظل بها ربد النعام كانها   اماء تزجى بالعشي حواطب

وواضح من هذا ان ملامح المرأة تبرز من خلال صور حيوان الطلل التي تحدثنا عنها في موضعها من هذا البحث بالتفصيل ،ولا عجب في ذلك فالمرأة هي صاحبة الطلل ، وليس غريبا ان يكون حيوانه مشابها لها .

---

1) مصطفى ناصف . قراءة ثانية لشعرنا القديم . ص : 99 - 100 .
2) ديوانه : ص . 1
3) ديوانه : ص . 150 .
4) المفضلية : 41 . ص : 204 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والناقة في الشعر الجاهلي رمز معقد ، فهي أم ، وهي ترمز للخير والشر معا . وقد اشرنا الى ذلك في الفصل الاول من هذا البحث[1] ولكن الذي يهمنا هنا هو علاقتها بالمرأة في التشبيه . وتلتقي الناقة في هذا المجال بالتمامة فالناقة دائما هي المرأة ، يقول طرفة مشبها ناقته عندما ضربها بالسوط : (2)

فذالت كما ذالت وليدة مجلس تري ربها أذيال سحل ممدد

تبخترت هذه الناقه كما تتبختر جارية تري سيدها ذيل ثوبها الطويل وقد شبه ذنب الناقة بهذا الذيل . ويصف المسيب بن علس سرعة ناقته بامرأة تحوك ثوبا تريد ان تنتهي منه بسرعة ، بعد ان يصفها بلاعب كرة في منهبط ارض فيقول في هذين البيتين : (3)

مرحت يداها للنجاء كانما تكرو بكفي لاعب في صاح

فعل السريعة بادرت جدادها قبل المساء تهم بالاسراع

وقد أثبتنا في الفصل الاول بعض الامثلة لصورة الناقة حيث تتحول الى امرأة نائحة ،(4) فعند أبي ذؤيب الهذلي تتحول الاثافي الى نوق ثم تتحول النوق الى نساء نائحات ، وعند كعب بن زهير تتحول الناقة الى امرأة

---

1) انظر ، ص : 13 وما بعدها .

2) ديوانه : ص . 46 .

3) المفضليه : 11 . ص : 62 .

4 انظر ، ص : 15 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نائحة تضرب صدرها حزنا على فقد ولدها ،حين كان كعب يشبه ناقته في سرعة سيرها . وفي كلا المثلين كانت الناقة ترمز الى الأم . وقد اثبتنا أيضا ان هذه الامومة كانت لها علاقة بناقة صالح عليه السلام (1)

وبالاضافة الى تشبيه الشعراء للاثافي في أطلالهم بالناقة ، فان بعضهم قد شبه الناقة بالظبي ،وهو من حيوان الطلل ،وهي تشترك في هذا التشبيه مع المرأة . يقول المخبل السعدي في وصف ناقته : (2)

وتقيل في ظل الخباء كما   يغشى كناس الضالة الرئم

وقد شبه بعض الشعراء ايضا الناقة ببقر الوحش ،فهذا النابغة يشبه الابل التي يتكرم بها النعمان بن الحارث ببقر الوحش فيقول :(3)

حباؤك والعيس العتاق كأنها   هجان المها تحدى عليها الرواحل

ويشبه طرفة بن العبد عيني ناقته بعيني البقرة الوحشية ايضا فيقول:(4)

طحوران عوار القذي فتراهما   كمكحولتي مذعورة أم فرقد

اما تشبيه الناقة في سرعتها بالبقرة الوحشية فهو كثير عند الشعراء وقد شبهت الناقة أيضا في سرعتها بالنعام كما أثبتنا ذلك من قبل (5)

---

1) لم يشر علي البطل في كتابه : (الصورة في الشعر العربي) الى ناقة صالح ،رغم انه يربط صور الحيوانات التي يتحدث عنها بالاساطير القديمة والشعائر الدينية ، واكتفى بقوله ان الناقة كانت من الحيوانات المقدسة عند العرب . انظر الفصل الخاص بصورة الحيوان من 121 الى 181 . من كتابه المذكور .
2) المفضلية : 21 . ص : 116 .
3) ديوانه : ص : 89 .
4) معلقته . الزوزني . ص : 129 .
5) انظر ،ص : 108 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويتضح من خلال هذه الامثلة أن هذه الحيوانات تشترك فيما بينها في التشبيه عند الشعراء من جهة ،وتشارك المرأة في هذه التشبيهات من جهة ثانية . وتلتقي المرأة والطلل وهذه الحيوانات في معظم هذه الصور .

(3)

وكانت النخلة من بين الوسائل الفنية التى استخدمها بعض الشعراء في تشبيه المرأة ،وكانت مرتبطة عند معظمهم بالخصب والولادة ،فهي عندهم ترمز ، فيما يبدو الى الامومة مثلها في ذلك مثل الوسائل الفنية الاخرى التي مرت بنا في هذا الفصل . وكان بعضهم يختار من النخلة الجزء المثمر منها مثلما نجد عند امرئ القيس حين يشبه شعر المرأة ويقول : (1)

وفرع يزين المتن السود فاحم   أثيث كقنو النخلة المتعثكل

وقوله في قصيدة اخرى : (2)

ولما تنازعنا الحديث واسمحت   هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

وبعضهم يشبه المرأة بالنخلة ولكنه يوسع في حدود التشبيه وبالاضافة الى ذلك يركز على الخصب والاثمار ،فأبو دواد الايادي يشبه النساء على الهوادج بالغزلان ،ثم يشبههن بعد ذلك بالنخل فيقول : (3)

---

1) المصدر نفسه . ص : 79 .

2) ديوانه : 108 .

3) الاصمعية . 65 . ص : 186 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نخلات من نخل بيسأن أينعن جميعا ونبتهن تؤام
وتدلت على مناهل بسرد وفليج من دونها وسنام

والشاعر يركز هنا على الاثمار والخصب في البيت الأول ويتبين ذلك من (اينعن) و (تؤام) . وفي البيت الثاني يقول ان هذه النخلات قد تدلت على منابع المياه في هذه الاماكن الثلاثة التي يذكرها .

وأحيانا لا ندري هل يصف الشاعر النساء التي على الهوادج ، ام يصف الظعائن التي تحمل النساء ؟ اما تشبيه الظعائن بالنخل فهو كثير لدى الشعراء . يقول لبيد بن ربيعة في وصف الظعائن :(1)

فكأن ظعن الحي لما أشرفت بالآل وارتفعت بهن حزوم
نخل كوارع في خليج محلم حملت فمنها موقر مكموم
سحق يمتعها الصفا وسريه عم نواعم بينهن كروم
زجل ورفع في ظلال حدوجها بيض الخدود حديثهن رخيم

ولبيد يتحدث هنا عن نساء الحي أثنا رحيلهن ، فيصف هذه الظعائن عند ما اشرفت على اماكن مرتفعة غطاها السراب فيشبهها بنخل طويل أصوله في الماء ، يرويها خليج محلم ونهر الصفا بالبحرين ، وقد اينعت وكثر ثمرها ، وفي البيت الاخير يقول ان هذه الظعائن تحمل نساء بيض الخدود ، وحديثهن رخيم . ومثلما يصف لبيد الظعائن ، يصف الاعشى أظعان زينب غداة الرحيل فيقول :(2)

---

1) ديوانه : ص : 152 .
2) ديوانه : ص : 10 - 11 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وشاقتك ظعان لزينب غدوة   تحملن حتى كادت الشمس تغرب
فلما استقلت قلت نخل ابن يامن   أهن ام اللاتي تربت يترب
طريق وجبار رواء اصوله   عليه ابابيل من الطير تنعب

ويضيف الاعشى الى طول النخل وارتوائه صورة اصوات الطيور على هذا النخل أما امرؤ القيس فيفصل في صورة النخيل وينميها فيقول: (1)

بعيني ظعن الحي لما تحملو   لدى جانب الافلاج من جنب تيمموا
فشبهتهم بالآل لما تكمشوا   حدائق دوم او سفينا مقيرا
او المكرعات من نخيل ابن يامن   دوين الصفا اللائي يلين المشقرا
سوامق جبار اثيث فروعه   وعالين قنوانا من البسر احمرا
حمته بنو الربداء واعتم زهوه   واكمامه حتى اذا ما تهصرا
اطافت به جيلان عند اقتطاعه   تردد فيه العين حتى تحيرا

وأمرؤ القيس يشبه الظعائن بشجر الدوم وبالسفن ، ثم ينتقل الى تشبيهها بالنخل ويطيل في تفصيل المشبه به ، " فهو ينطلق مع وصف النخيل ، تاركا الظعن وهي المشبه ، موهما انه أهملها على عادة الشعراء في هذه الفترة . فيصور النخيل مرتويات " مكرعات . وهذا أطيب لثمرها فهي نخلات طوال مثلته سعفا وثمرا نضيرا ، وصورة الاثمار من صورة الخصوبة بالطبع ، والنخلات في حماية قوم أشراء ينفون عنها العدوان وكانها شعرت بهذه الحماية فقرت واطمأنت ، وأوقرت ثمرا اكمل مدته ونضج ، وقرت به عين أصحابه فهم يطوفون به في رضى وحبور." (2) ويقول المرقش الاكبر في وصف الاظعان او النساء ": (3)

---

1) ديوانه ، ص : 154 - 155 - 156 .
2) علي البطل : الصورة في الشعر العربي ، ، ص : 66 .
3) المفضلية : 54 ، ص : 238 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واذا كان بعضهم قد شبه الظعينة بالنخلة ، وهي عادة مرتبطة بالمرأة المسافرة فان بعضهم قد شبه الابل بالنخل ، يقول ابو دواد الايادي (1) :

واذا ما فجئتها بطن غيب قلت نخل قد حان منه صرام

اما كعب بن زهير فيعجبه من النخل جريده فيشبه به ذنب ناقته حيث يقول : (2)

تمر مثل عسيب النخل ذا خصل في غارز لم تخونه الاحاليل

ومن الغريب حقا ان صورة النخلة تجمع بين أطراف ثلاثه بين الناقه والنعامة والمرأة ، وتجتمع هذه الصور كلها عند ثعلبة بن صعير ، فناقته تتحول الى نعامة مسرعة يعارضها الظليم في طريقها فتزيدها هذه المعارضة سرعة ، ولهذا يتطاير ريشها اثناء العدو فتصبح مثل التي يلقحها صاحبها فيرمي الليف عنها ، ثم تتحول هذه النعامة في الاخير الى امرأة كشفت عن رأسها ووجهها ، يقول ثعلبة : (3)

واذا خليلك لم يدم لك وصله فاقطع لبانته بحرف ضامر

ويقصد بالحرف الضامر ناقته . ثم يشبهها بالنعامة بعد ذلك بابيات فيقول : (4)

وكان عيبتها وفضل فتاتها فننان من كنفي ظليم نافر

1) الاصمعية : 65 . ص : 188 .

2) ديوانه : ص : 13 .

3) المفضلية : 24 . ص : 129 .

4) المصدر نفسه . ص : 129 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهو يشبهه ما تحطه من متاع بجناحي ذكر النعام، يعارض هـذا الظليم أنثاه فتسرع أكثر ويتطاير ريشها اثناء عدوها وتصبح نخلـة يلقحها صاحبها حيث يقول : (1)

يبرى لرائحة يساقط ريشها مرّ النجاء سقاط ليف الابّـر

وعندما تصل هذه النعامة الى بيضها وتجثم عليه تتحول الى أمراة كما كما سبق ان أشرنا الى ذلك ، يقول ثعلبة بن صعير : (2)

فبنت عليه مع الظلام خباءها كالاحمسيه في النصيف الحاسر

ومن خلال قراءتنا لهذه الابيات نلاحظ فكرة الخصب والولادة التي تلازم الصور ، فالنخلة في حالة تلقيح ، والنعامة تحضن بيضها ، والمرأة في الاخير تظهر جمالها ، وفكرة جمال المرأة ليست بعيده عن فكـرة الانجاب والعطاء .

ومعنى هذا ان النخلة قد ارتبطت ، في خيال الشاعر العربـي بالخصب والانجاب أو على الاصح بفكرة الأمومة ، ولاشك ان ارتباط النخلة بميلاد عيسى عليه السلام كان من اهم الاسباب التي منحت النخلة هذا الرمز .(3) وقد روى القرآن الكريم هذه القصة فقال : (فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا . فناداها من تحتها ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا .. وهزي اليك بجـذع النخلة تساقط عليه رطبا جنيا . فكلي واشربي وقري عينا .) (4)

---

1) المصدر نفسه : ص : 129 .
2) المفضلية : 24 . ص : 130 .
3) لم يشر على البطل في كتابه : الصورة . . . الى هذا الارتباط رغـم المنهج المتبع عنده . انظر فصل صورة المرأة .
4) سورة مريم آية 23 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالاضافة الى هذا فقد جاء في الاثر -ان صح - أن النخلة تربطها صلة رحم بالانسان (1)

وليست صورة النخلة غريبة عن عالم الطلل ، فالمرأة المرتحلة من الطلل تشبه بالنخلة ، والناقة التي رأينا الشاعر يشبه بها بعض اجزاء الطلل تشبه بالنخلة ، والنعامة ، وهي من حيوان **الطلل** يقرنها الشاعر بالنخلة ، وبالاضافة الى ذلك نجد فكرة الخصب والأمومة التي تبرز في الطلل ترتبط أيضا بها .

(4)

أعجب النقاد القدماء ببعض التشبيهات في الشعر القديم ، وقالوا ان امرأ القيس اول من ابتدعها ، وتابعه الشعراء في ذلك ، ومن بينها تشبيه المرأة بالبيضة ، وقد قال أمرؤ القيس في ذلك : (2)

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

وقال أيضا : (3)

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير المحلل

وان كان الشراح يختلفون في معنى البيت الاخير بين البيضة والدرة . ويحرص بعض الشعراء على ان تكون هذه البيضة ، التي يشبهون المرأة بها ،

1) يقول الحديث النبوي : " اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من فضلة طينة آدم ، وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة ولدت تحتها مريم بنت عمران ، فأطعموا نساءكم الولد الرطب ، فان لم يكن رطب فتمر ، السيوطي : الجامع الصغير من حديث البشير النذير . تحقيق محمد يحي الدين عبد الحميد . ط : 1 . 1352هـ مطبعة حجازي القاهرة . ج 1ص: 182 .
2) معلقته . الزوزني . ص : 70 .
3) المصدر نفسه . ص : 76 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مصونة محفوظة في الرمل او الأدحي (مكان بيض النعام) . وبعضهم يعجبه ان تكون في رعاية اكثر فيتخيلها في رعاية النعام يجثم عليها ويدفئها باجنحته يقول زهير : (1)

أو بيضة الادحي بات شمارها كنفا النعامة جؤجؤ وعفاء

ويشبه النابغة الذبياني نساء ببيضات في رمل منهار في منعطف الوادى فيقول : (2)

نواعم مثل بيضات بمحنية يحفزن منه ظليما في نقا هار

ويؤلف الاعشى بين صورتين متشابهتين ليبرز جمال هذه المرأة التى يتحدث عنها ، صورتي البيضة والدرة حيث يقول : (3)

او بيضة في الدعص مكنونة اودرة شيفت لدى تاجر

وهو يرى هذه البيضة مصونة في كثيب من الرمل ، ويرى الدرة محفوظة لدى التاجر قد جلاها لتكون اكثر لمعانا .

اما المخبل السعدي فيوسع في حدود المشبه به ، ويروى لنا قصة هذه البيضة ، فهي قد وضعت في كثيب من الرمل ، لينة الملمس ليس فيها نتوء وكانت البيضة الاولى بين قرائنها ، يحيطها ابوها برعاية تامة ، فيضمها الى جنبه بجناحين فيهما ريش كثيف كانه يغطيها بثياب بالية ، يقول المخبل : (4)

---

1) ديوانه . ص : 340 .
2) ديوانه . ص : 50 .
3) ديوانه . ص : 92 .
4) المفضلية : 21 ـ 115 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

او بيضة الدعص التي وضعت   فبي الارض ليس لمسها حجم
سبقت قرائنها وأدفأها   قرد الجناح كانه هدم
ويضمها دون الجناح بدفه   وتحفهن قوادم قتم

ونلاحظ أن الناقة تشارك المرأة في جميع صورها فقد اجتمعت معها في التشبيه بالظبي والبقرة الوحشية والنخلة ، وهي تشاركها أيضا في صورة البيضة يقول ابو دواد الايادي في تشبيه نوقه : (1)

وهي كالبيض في الاداحي ما يوهب منها لمستتم عصام

سبق لنا ان قلنا ان الشمس كانت من بين مقدسات العرب الى جانب الظبي والمرأة ،(2) وبعض الباحثين يرى ان للبيضة علاقة أيضا بالشمس " فالبيضة بما تجمعه في غرقئها من بياض ولح اصفر انما هي جماع لسر الشمس في ضحوتها وعشيتها ، وغلا فها الرقيق الهش يماثل رقة بشرة المرأة وملاسة أديمها وصفائه ونضرته وخلوه من أثر الزمن وتجاعيد السن "(3) . وتضيف الى ذلك ان القرآن الكريم قد شبه الحور بالبيض المصون (4) قال تعالى : (فيهن قاصرات الطرف عين . كانهن بيض مكنون .) (5)

عندهم

1) الاصمعية : 65 . ص : 188 .
2) انظر ، ص : 104 وما بعدها .
3) على البطل . الصورة في الشعر العربي . ص : 80 .
4) لم يشر على البطل الى هذا التشبيه في القرآن .
5) سورة الصافات : آية 48 ، 49 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ومن الحجارة الكريمة اختار الشعراء لتشبيه المرأة الدر، وقد كانت صورة الدر مرادفة للبيض مثل ما رأينا عند الاعشى في قوله : (1)

او بيضة في الدعص مكنونة اودرة شيفت لدى تاجر

ومرة تأتي صورة البيض مرادفة للدر مثل ما نجد عند المخبل السعدي . واحيانا تأتي بعد صورة الشمس مثل ما نجد عند النابغة حيث يقول : (2)

قامت تراءى بين سجفي كلة كالشمس يوم طلوعها بالاسعد

اودرة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

والنابغة يحيط هذه الدرة بهالة من التقديس حيث يجعل من يراها يكبر ويسجد . ويقول قيس بن الخطيم : (3)

كأنها درة أحاط بها الغواص يجلو عن وجهها صدف

وينسبها سويد بن ابي كاهل الى بلد تؤام بعمان فيقول : (4)

كالتؤامية ان باشرتها قرت العين وطاب المضطجع

---

1) ديوانه . ص : 92 .

2) ديوانه . ص : 40 .

3) الاصمعية . ص : 68 . ص : 197 .

4) المفضلية . ص : 40 . ص : 196 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غير ان بعض الشعراء يروى قصة الحصول عليها . فهذا المخبل السعدي يتحدث عن هذه الدرة الثمينة ،وكيف حصل عليها هذا الغواص الذى دهن جسمه بالزيت قبل ان يغطس في البحر لينجو من خطر الماء المالح ،وليقاوم ضغط الاعماق ، وقد صارع في سبيل الحصول عليها أمواج البحر، واشتراها منه ملك العجم بثمن غال لينير بها عرشه .(1) يقول المخبل السعدى :(2)

وتريك وجها كالصحيفة لا ظمآن مختلج ولا جهم

كعقيلة الدر استضاء بها محراب عرش عزيزها العجم

أغلى بها ثمنا وجاء بها شخت العظام كأنه سهم

بلبانه زيت وأخرجها من ذى غوارب وسطه اللخم

أما الاعشى فيروي قصة شبيهة بقصة المخبل ،ولكنه يطيل في التفصيل ويحيطها بجو سحري يجعل الحصول عليها مستحيلا ، يقول الاعشى :(3)

كانها درة زهراء اخرجها غواص دارين يخشى دونها الغرقا

قد رامها حججا مذ طرشاربه حتى تسعسع يرجوها وقد خفقا

لا النفس تؤيسه منها فيتركها وقد رأى الرغب رأى العين فاحترقا

ومارد من غواة الجن يحرسها ذو نيقه مستعد دونها ترقا

ليست له غفلة عنها يطيف بها يخشى عليها سرى السارين والسرقا

حرصا عليها لوان النفس طاوعها منه الضمير لبالى اليم او غرقا

---

1) انظر علي البطل . الصورة في الشعر العربي .ص : 78.

2) المفضلية : 21 . ص : 115 .

3) ديوانه ص: 124 - 125 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في حوم لجة آذي له حدب   س رامها فارقته النفس فاعتلقا
من نالها نال خلد لا انقطاع له وما تمنى فاضحى ناعما أنقا

" فالدرة زهراء مشرقة ، وقصة غواصها هي قصة الانسان في الحاحه وراء هدفه على الرغم من محاولاته الفاشلة والمخاطر المحدقة به . فهو يحاول ان يفوز بها منذ صباه المبكر حتى شاخ واكتسب خبرة طويلة، لا ييأس منها ولا يفوز بها ، فهو ممزق بين الرغبة الجارفة والتحقيق المستحيل ، والاستحالة تفرضها قوى غيبية تفوق قدرة الانسان على مواجهتها ، فالجني يحرس الدرة لا يغفل عنها ، ولا يفتأ طائفا بها بالاضافة الى ما يحيط بها من مخاطر البحر الذي يتحدى امكانات الانسان . ولكن لم كل هذا ؟ لماذا تحف بها هذه الاهوال ؟ ولماذا يحرص عليها الغواص كل هذا الحرص ؟ ذلك لانها باعثة الحياة ، فهي سر مقدس ، وفيها قوى خارقة ، من نالها نال خلدا أبديا لا يشوبه شقاء ولا عسرة فهو خلود منعم مترف ."(1)

وعلاقة المرأة بالحيوانات التي شبهت بها تبرز بين الحين والآخر في الاشياء الأخرى التي شبهت بها المرأة ، فهذا لبيد بن ربيعة يشبه بقرة وحشية تبحث عن ولدها الذي اكلته الذئاب اثناء غيابها في الرعى ، وادركها الظلام ، يشبهها اثناء سيرها بدرة سل خيطها فسقطت متدحرجة ، يقول لبيد :(2)

وتضيء في وجه الظلام منيرة   كجمانة البحري سل نظامها

---

1) علي البطل ، الصورة في الشعر العربي . ص: 79 .
2) ديوانه . ص: 172 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويشبه الشماخ بن ضرار وجه ناقته أيضا بالدرة ، وهو في معرض وصف وجهها واذنيها ،فيقول :(1)

وحرتين هجان ليس بينهما اذا هما أشتاتا للسمع تمهيل
في جانبي درة زهراء جاء بها محطج من رجال الهند مجدول

وبهذا يمكن القول ان الناقة شاركت المرأة في جميع أوصافها .

واذا كانت الشمس المعبودة في القديم قد تداخلت صورها مع الظبي وبقر الوحش والمرأة ،فان بعض الباحثين يرى ان الدرة هي صورة مصغرة للشمس ، وقد رأينا قبل أن تشبيه المرأة بالدرة جاء مرادفا لتشبيهها بالشمس في شعر النابغة الذبياني.(2)

وربما تبرز قدسية صورة الدر اكثر من ذلك عندما نرى القرآن الكريم يميز جمال الحور في الجنة بهذا التشبيه (3) قال تعالى :(وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون .)(4)واللؤلؤ هو صغار الدر .(5)

وهكذا يتضح ان صورة الدر تدخل ضمن الصور التى رايناها ماثلة في الطلل ،فالناقة صورة من صوره ،والظباء وبقر الوحش حيوان الطلل ، وصورة الشمس كذلك ، وبالاضافة الى ذلك فالمرأة صاحبة الطلل تجتمع فيها كل هذه الصور التي اثبتناها في هذا الفصل .

---

1) صلاح الدين الهادي ،الشماخ ابن ضرار ،حياته وشعره ، دار المعارف ،مصر 1968 . ص : 190 وص : 325 .
2) ديوانه ، ص : 40 .
3) لم يشر علي البطل الى هذه العلاقة في كتابه الصورة في الشعر العربي .
4) سورة الواقعة آية 22 - 23 .
5) لسان العرب مادة (لألأ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الخامس

الرحلة - والطلل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يرى بعض الباحثين ان ظاهرتي الوقوف على الاطلال والرحلة عند الشاعر الجاهلي كانتا نتيجة للبيئة او الحياة الاجتماعية التى يحياها المجتمع آنذاك ولسنا ننكر هذا الاثر ، فالادب او الفن كان وما يزال افرازا لحياة المجتمع وتقاليده السائدة ، ولا يمكن ان يفصل بينهما . غيران الشاعر العربي القديم كان انسانا أيضا ، ومن هذه الناحية يمكن له ان يعبر عن الهموم التى شغلت الانسان في كل زمان ومكان . ولهذا رأي بعض الباحثين ان الشاعر الجاهلي كان يعاني من مشكلة المصير ، ويعبر عن هذه المعاناة من خلال وقوفه على الطلل . واذا كانت الرحلة في القصيدة الجاهلية تاتي ، في الغالب ، بعد الوقوف على الطلل ، فان بعض الباحثين أيضا يرى انها ترمز الى رحلة الحياة بما تمثله من صراع في هذا الوجود ومن هذه الزاوية لا يمكن الفصل بين المقدمة الطللية والرحلة لانهما يلتقيان في فكرة الصراع .

(1)

ان الذي يستقرئ المقدمات الطللية يلاحظ ان معظم الشعراء بعد وقوفهم على الطلل يحاولون التخلص من ذكرياته ، ونحس انهم يضيقون بهذا الوقوف . ويبدو ان هذا الضيق الذي ينتابهم مرده الى سببين : اولا : ان الطلل يذكرهم بماض يصعب ارجاعه . ويرون ان هذا الماضي مازال ماثلا في الطلل . وثانيا : وهو الاهم ، ان الطلل كان بالنسبة الى هؤلاء الشعراء يمثل نقطة انطلاق للحديث عن الرحلة التي نجدها تبدأ ، غالبا بعد الوقوف على الطلل . ومعنى

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذا ان الطلل كان يمثل في مفهومهم بداية الحياة ونهايتها في آن واحد ، فمنه تبدأ الحياة لان الشاعر يتخذ منه منطلقا للحديث عن هذه الحياة ، واليه تنتهي الحياة لانه يدل على بقاياه بعد رحيله منها . ويبدو ان هذا التناقض هو الذي كان يضيق به صدر الشاعر .

يسائل زهير بن ابي سلمى الاطلال ثم يضيق بها لانها لا تجيبه فيلجأ الى ناقته التي يشبهها بالفحل في قوتها وسرعتها فيقول : (1)

فلما رأيت أنها لا تجيبني   نهضت الى وجناء كالفحل قردد

ويرى النابغة الذبياني الديار مقفرة ولا يظفر اثناء الوقوف على الطلل بما يريحه ، فينهض الى ناقة عظيمة شديدة تشبه الفحل لا تشكو تعبا فهي منزهة عنه : (2)

فلما ان رأيت الدار قفرا   وخالف بال أهل الدار بالي

نهضت الى عذافرة صموت   مذكرة تجل عن الكلال .

ويرى بعض الشعراء في هذا الوقوف هما يجب ان يخففوا منه بالنجاة ، يقول طرفة بن العبد : (3)

---

1) ديوانه . دار بيروت ، لبنان 1982 . ص : 19 .

2) ديوانه . ص : 97 .

3) معلقته الزوزني : ص : 118 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

واني لا مضي الهم عند احتضاره   بموجاء مرقال تروح وتغتدي

ومثله في ذلك قول الحارث بن حلزة : (1)

غير اني قد استعين على الهم   اذا خف بالثوي النجاء

بزفوف كانها هقلة ام   رئال دوية سقفاء

ويصف بشر بن ابي خازم الناقة التي تخفف من همه فيقول : (2)

لولا تسلي الهم عنك بحسرة   عيرانة مثل الفنيق المكدم

ويرى بشر ، ايضا ، ان استرجاع الذكريات مرض يجب ان يستريح منه ، فيقول : (3)

ولم أبرح رسوم الدار حتى   أزاحت علتي حرج سروح

وبعضهم يرى أنه لا فائدة من الوقوف على الاطلال ، اذ لا يمكن استرجاع ما مضى . يقول النابغة : (4)

فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له   وانم القتود على عيرانة أجد

ويقول زهير في هذا المعنى : (5)

فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له   أمسى بذاك غراب البين قد نعقا

وأنم القتود على وجناء دوسرة   يشري الجديل اذا ما دابها عرقا

---

1) المصدر نفسه : ص : 307 - 308 .

2) المفضلية : 99 - ص : 346 .

3) ديوانه ، ص : 50 .

4) ديوانه . ص : 31 .

5) ديوانه .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويقـول زهـير : (1)

دع ذا وعد القول في هـرم   خير الكهول وسيد الحضـر

ونكاد نحس من بعضهم انه مدفوع الى هذا الوقوف دفعا ، ولكـن عاطفته اثناء هذا الوقوف تتقاسمها عدة حالات تبدو أحيانا متناقضة يقول عنترة : (2)

يا دار عبلة بالجواء تكلمـي   وعمي صباحا دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنهـا   فدن لاقضي حاجة المتلـوم

يخاطب عنترة هذه الديار ويطلب منها ان تجيب ، ثم يحييها تحية الصباح ويدعو لها بالسلامة ، وهذه تقاليد عند بعض الشعراء مثـل زهير ،ولكنه يكاد ينفرد بما ورد في البيت الثاني ، فقد وقف بناقتـه على الطلل ووصفها بالقصر ، وقال بعد ذلك انه يريد يقضي أن حاجة المتلوم، ونستطيع ان نستنتج من هذا الحديث ثلاثة أمور : الأول انه شبـه الناقة اثناء وقوفها على الطلل بالقصر ، ويرى بعض المدارسين انه شبهها بذلك لضخامتها وقوتها (3) ونحن نستنتج شيا آخر توحي به هـذه الصورة ، وهو التحصن من بعض ما يوحي به الطلل من خراب وفناء مـن جهة ،ومقابلة خراب الطلل بهذا البناء الضخم الذي يتمثل في الناقة من جهة أخرى . والثاني نحس ان الشاعر يرى في هذا الوقوف واجبـا

---

1) ديوانه : ص: 88 .

2) الزوزني ،المعلقات السبع ،ص: 274 .

3) المصدر نفسه ، ص: 274 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقد يكون هذا الواجب عاطفيا ، ومن هذه الوقفة الواجبة نستنتج الأمر الثالث ، هو ،كما يرى بعضهم ان المتلوم هو المتمكث او المتريث ، ونفهم من هذا الرأي القديم ان المتلوم هو الذي يريد ان يسافر ولكنه يتريث لقضاء شئ ، ومعنى المتلوم كذلك هو الذي يفعل شيئا يتوقع ان يلام عليه ز(1) ويمكن تلخيص هذه العواطف المتضاربة في أن الشاعر يتحصن من الطلل بصورة القصر ، ويرى ان الوقوف قبل السفر واجب . وهو يخاف ان يلام عليه لانه يعد بكاء على الماضي . ومن هذا المعنى الاخير يبرز ضيق الشاعر بالطلل .

(2)

لقد تحدثنا في فصل سابق عن صورة الحياة في الطلل ، هذه الحياة التي تتجلى ،عند معظم الشعراء ،في مظاهر الخصب في شتى أنواعه ،من عشب ينمو ويزهر الى أنواع من الحيوانات تتوالد وتتكاثر، حيث نرى في هذا كله عالما من عوالم الشعراء المتعدده(2) ، ولكننا نحس ان هذه الحياة في الطلل غير مبتورة عما ياتي بعدها ،بل هي متصلة اتصالا وثيقا بما ياتي بعد الوقوف على الطلل في معظم القصائد الجيدة في الشعر الجاهلي .

والرحلة بنوعيها : رحلة الظعائن ، ورحلة ناقة الشاعر ، هي الجزء الهام الذي يلي المقدمة الطللية في معظم الاحيان . وقد رأى

---

1) لسان العرب مادة (لوم)

2) انظر الفصل الثالث من هذا البحث .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بعض الباحثين ان الظعائن التي تنطلق من الطلل ،هي مظاهر النمو والخصب التي نراها في حياة الطلل او" ان الظعائن بالنسبة للطلل مثل الذرية بالنسبة للأمْ . ومن اجل ذلك يصبح الطلل كالأ م الولود التي لا يجف خصبها "(1)

ونرى هذه الظعائن ،او النوق التي تحمل النساء المرتحلات تسير عند بعض الشعراء محفوفة بما يشبه الجلال والتقديس، محاطة بكثير من العناية ،ونرى هذا بوضوح عند ما نقرا رحلة أمرئ القيس حيث يقول :(2)

بعيني ظعن الحي لما تحملوا	لدى جانب الافلاج من جنب تيمرا
فشبهتهم في الآل لما تكمشوا	حدائق دوم أو سفينا مقيرا
او المكرعات من نخيل ابن يامن	دوين الصفا اللائي يلين المشقرا
سوامق جبار اثيث فروعه	وعالين قنوانا من البسر أحمرا
حمته بنو الربداء من آل يامن	بأسيافهم حتى أقروأوقرا
وأرضى بني الربداء واعتم زهوه	واكمامه حتى اذا ما تصهرا
أطافت به جيلان عند قطاعه	تردد فيه العين حتى تحيرا
كان دمى شغف على ظهر مرمر	كسا مزبد الساجوم وشيا مصورا
غرائر في كن وصون ونعمة	يحلين ياقوتا وشذرا مفقرا
وريح سنا في حقة حميرية	تخص بمفروك من المسك اذفرا
وبانا والويا من الهند ذاكيا	ورندا ولبنى والكباء المقترا

---

1) مصطفى ناصف قراءة ثانية ،ص؛64 .

2) ديوانه . ص: 154 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد شبه أمرؤ القيس هذه الظعائن بحدائق الدوم وبالسفن، ثم انتقل الى الصورة الثالثة حيث أطال الوقوف عند المشبه به ، فهذه النخيل التي شبه بها الظعائن تنهث أصولها في الماء ، وهي طوال ممتلئة سعفا وثمرا ، وهي في حماية قوم يذودون عنها باسيافهم حتى ينضج ثمرها . والذي نلاحظه على صورة النخيل وهي اكثر الصور دلالة على ما نريد اثباته ،انها تنهض بمظاهر الحياة ،فالنخلة ترمز الى الخصب والماء يحيط باصولها ، وهي ممتلئة سعفا وثمرا ،وبالاضافة الى ذلك فان الشاعر يحيط صورة النخيل التي هي صورة للظعائن ،بما يضمن لها السلامة في هذه الرحلة ،وفكرة المحافظة على هذه الظعائن تبرز أيضا عندما يتحدث الشاعر بعد ذلك عن هؤلاء النساء (في كن وصون ونعمة) .

وقد رأى بعض الباحثين في هذه الرحلة ان "مشاهد الظعائن العابقة بالحب والفتنة والعطر والبلون هي صورة أمينة من أمس الشاعر الزاهي بالملك والترف . . ثم كانت غفلة تهدم فيها هذا المجد العريض، ولعل امرأ القيس يصدر عن هذا المعنى ،العز الذي بني بالسيوف ثم قوضه الاعداء ،أو يلمح اليه في هذه الصورة التي يرسمها للظعائن ".(1) واذا سلمنا بهذا التفسير فان العلاقة بين الرحلة والطلل تتمثل في البكاء على الماضي .

ونجد عند لبيد صورة تشبه في حياتها وخصبها صورة امرئ القيس لكن صورة امرئ القيس أجمل وأعمق ، يشبه لبيد الظعائن بنوعين

---

1) وهب رومية ،الرحلة في القصيدة الجاهلية ،مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الثالثة ، 1979 ، ص : 270 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من النبات ثم ينتقل الى صورة النخيل حيث يقول : (1)

كان اظعانهم في الصبح غادية   طلح السلائل وسط الروض او عشر
او بارد الصيف مسجور مزارعه   سود الذوائب مما متعت هجر
جمل قصار وعيدان ينوء به   من الكوافر مكموم ومهتصر
يشربن رفها عراكا غير صادرة   فكلها كارع في الماء معتمر
بين الصفا وخليج لعين ساكنة   غلب سواجد لم يدخل بها الحصر

وعندما نقرأ رحلة زهير في المعلقة نحس انها محفوفة بما يشبه الجلال والتقديس مثلما رأينا في رحلة أمرئي القيس ، لكن رحلة زهير يحيط بها شيئ من الغموض . يقول زهير بعد المقدمة الطللية : (2)

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن   تحملن بالعلياء من فوق جرثم
جعلن القنان عن يمين وحزنه   وكم في القنان من محل ومحرم
علون بانماط عتاق وكلة   وراد حواشيها مشاكهة الدم
ووركن في السوبان يعلون متنه   عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكورا واستحرن بسحرة   فهن ووادي الرس كاليد للفم
وفيهن ملهى للطيف ومنظر   أنيق لعين الناظر المتوسم
كان فتات العهن في كل منزل   نزلن به حب الفنا لم يحطم
فلما وردن الماء زرقا جمامه   وضعن عصي الحاضر المتخيم
ظهرن من السوبان ثم جزعنه   على كل قيني قشيب ومفأم

---

1) ديوانه : ص ، 55 وما بعدها .

2) الزوزني المعلقات السبع . ص : 163 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه هي رحلة زهير يكتنفها غموض لا نكاد نتبينه ، فيها أسماء اماكن : جسر ثم ، القنان السوبان ، وادى الرس ، وفيها ما يدل على الزمان البكور ، السحور . وفيها صور لهذه الاشياء التي تحملها الظعائن فهذه أنواع القماش على ظهورها تشبه بالدم ، وهذه آثار الصوف في أماكن استراحتها تشبه بنوع من النبات يسمى حب الفنا ، وهذا الماء أزرق لتجمعه تسريح حوله الظعائن اثناء هذه الرحلة .

رحلة زهير هذه يحيط بها شيء من الغموض ، ولهذا نجد بعض الشراح يقدمون عدة تفسيرات للصورة الواحدة ، فمثلا عند ما يشرحون قول زهير : (وكم في القنان من محل ومحرم ، يقولون : "يريد من لسه حرمة ومن لا حرمة له " ويقول تفسير أخر : مررت بهم أشهر الحل وأشهر الحرم "(1) وهذا التفسير الاخير يلغى وحدة الزمان في الرحلة أو تتداخل عنده أشهر الحل وأشهر الحرم في رحلة واحدة .

وقد لاحظ مصطفى ناصف غموض هذه الرحلة عند زهير فقال عن هذه الظعائن " فهي ، على كل حال . طاقة غريبة او لنقل هي روح غريبة ولكنها أليفة . هذه هي الروح التي لا تسكن ولا يحتويها الطلل وان كانت عنه صدرت ، هذه هي الروح التى تمثل أعلى ما يمكن ان يصدر عن فكرة البحث ". (2)

ومما نلاحظه ان زهيرا بدأ رحلته هذه بفعل (تبصر) ، ونجد هذا الفعل يتكرر عند كثير من الشعراء الذين يبدأون رحلتهم بالظعائن

---

1) انظر شرح الزوزني ، المعلقات السبع : 164 .

2) مصطفى ناصف . قراءة ثانية ، ص : 65 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وليس هذا مهما ،فربما كان تقليدا فنيا قلد فيه الشعراء بعضهم بعضا ، بل المهم ان فعل (تبصر) يتجاوز الرؤية المتعلقة بحاسة البصر،فهي أذن حلم أو ما يشبه الحلم ،ولا عجب اذن ان نرى في رحلته غموضا فطبيعة صور الحلم كذلك .

ويجدر بنا ان نستنتج شيئين اثنين من رحلة الظعائن عند زهير وغير زهير من الشعراء : احدهما ان الشاعر يحيط هذه الظعائن ، في متابعته لها وهي تسير، بكثير من العناية والتقديس ،ونستنتج هذا من خلال الصور التي يرسم بها الشاعر هذه الرحلة ،ومن خلال هذه العاطفة التي تصاحبها وتحرص على سلامتها الى نهاية الشوط . ثانيهما ان الشعراء عندما يريدون ان يتحدثوا في قصائدهم عن صراع واقعي في الحياة نجدهم يبدأون ،في الغالب ،برحلة الظعائن ، وربما لهذا السبب لا نجد في رحلة الظعائن صراعا مثلما نجد في رحلة الشاعر على الناقة ،وهذا ما سوف نوضحه عندما نتحدث عن رحلة الشاعر ، ومعنى هذا ان الصراع هو بناء كثير من القصائد الجاهلية الجيدة ،سواء كان ذلك صراعا واقعيا أو متخيلا من الشاعر .

ونستطيع ان نستدل على هذا الرأي من خلال قصائد زهير نفسها فزهير في معلقته ينتهي بعد ،رحلة الظعائن ،الى الحديث عن الحرب الدائرة بين عبس وذبيان ونلاحظ أنه يحرص في هذه الرحلة على سلامتها ومع هذا لا نفقد بعض الصور التي تشير الى هذه الحرب مثل تشبيه الثياب المبسوطة على الظعائن بالدم . وعندما لا يصور زهير صراعا كهذا نجده يتخيل صراعا اثناء رحلته وحده من خلال الصور التي يصور بها ناقته أثناء السير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

(3)

اذا كانت رحلة الظعائن تكاد تتميز بخلوها من أي صراع عندما يصور الشاعر هذه الرحلة ،فان الشاعر ،عندما يرحل وحده على الناقة يقدم أثناء وصفه لسرعة الناقة صور صراع متخيل ،ولكنه ،في الغالب يجعل الصورة التى يشبه بها الناقة تنتصر في نهاية الأمر ،ويبدو أن هذا راجع الى ان هذه الصورة هي صورة الانسان في هذه الحياة ولهذا يريد الشاعر ان ينتصر في معركة الحياة من خلال هذه الصورة.

يبدأ أمرؤ القيس قصيدته بلوم ماوية فيقول : (1)

أماوي هل لي عندكم من معرس ام الصرم تختارين بالوصل نيأس
أبيني لنا ان العزيمة راحة من الشك ذي المخلوجة المتلبس

وبعد هذا اللوم تبدأ الرحلة :

كاني ورحلي فوق أحقب قارح بشربة أو طاو بعرنان موجس
تمشى قليلا ثم انحى ظلوفه يثير التراب عن مبيت ومكنس
يهيل ويذري تربه ويثيره اثارة نباث الهواجر مخمس
فبات على خد أحم ومنكب وضجعته مثل الاسير المكردس
وبات الى أرطاة حقف كانها اذا الثقتها غبية بيت معرس

---

1) ديوانه : ص، 228 .
2) المصدر نفسه : ص، 228 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فصبحنه عند الشروق غديـــة كلاب ابن مر او كلا ب ابن سنبس
مفرثة زرقا كان عيونهـــــا من الذمر والا يحاء نوار عضرس
فادبريكسوها الرغام كأنهـــا على الصمد والاكام جذوة مقبس
وايقن ان لاقينه ان يومـــه بذى الرمث ان ماوتنه يوم انفس
فادركنه ياخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس
وغورن في ظل الغضا وتركنـه كقرم الهجان الفادر المتشمس

يقول أمرؤ القيس ان الناقة تشبه الحمار الوحشي المسن ،او تشبه ثورا وحشيا دخل في وقت العشاء وحفر مكانا وأثار عنه التراب ليجـد مبيتا له آمنا من الحر ، ولكن الثور يضطجع كما يضدجع الا سير الموثقبالقيود وهذه الصورة غريبة تلفت النظر ،فالثور قلق لا يعرف الراحة التامة ، وقد بات صاحبنا بجانب شجرة عظيمة مبللة بماء المطر القوي يريد ان يحتمي بها ، ثم قال ان هذه الشجرة أشبه ببيت بناه رجل ليتزوج فيه ، فقد انتشرت حوله رائحة الظباء . والى جانب هذه المتاعب ظهرت كلاب مشهورة من كلاب الصيد يغريها الصياد ،فادبر الثور الوحشي وارسل عليها التراب ،وكان الثور وهو يجري أشبه بجذوة النار ، وايقن الثور ان يومه في هذا الموضع يوم الموت ،فالكلاب تطلب موته وهو يطلب موتها ،ثم يقول ان الكلاب تعبت لطول مطاردتها الثور ورجعت عنه ،وطلبت الظل والراحة ثم شبه الثور لنشاطه بعد طول المطاردة والتعب بفحل الابل الكريم القوي . ولكن الصور التي يستعملها مثيرة للتأمل فهو يقول ان هذا الثور الذي استطاع ان يذود عنه الكلاب كالراهب يحاول الصبيان ان يمسوا ثيابه تبركا به .

لنلاحظ ان الثور الوحشي يريد ان يحيا حياة أسرية كما يقال ويريد ان يزيل التراب الحار عن مبيته ،وامسى الثور أسيرا مقيدا خليقا

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالشفقة فهو حريص كل الحرص على الحياة ، يجاهد لكي يتحدى أثر الطبيعة القاسية ، ويريد ان يتعامل معها ،فلابد من الاعتراف بقوتها ولابد من اصلاحها في الوقت نفسه أي أنه لا يملك الا ان يبعد التراب الحار لكي يصل الى طبقة باردة . هذا المنظر من أكثر المناظر احتفالا بحالة انسانية يصبح فيها الانسان على الرغم من قسوة عدوه جديرا بالتقدير فهو يريد الحياة . فالحرب تاخذ الثور الوحشي من حيث لا يريد ،فهو أسير ،وكلمة أسير قد تعني انه غير راض تماما ،أو تعني أنه لا يستطيع ان يتمتع بحريته ،وهذا واضح فالكلاب تناوشه وتتبعه وحينما تشرق الشمس ويريد الثور ان يستقبل السلام تفاجئه الكلاب والكلاب أعداء الحياة (1)

وبانتهاء هذا الصراع بين الثور والكلاب تنتهي قصيدة أمرئي القيس ويتبين من هذا ان الشاعر كان يريد ان يحدثنا عن هذا الصراع الذي ينتصر فيه الثور ،وكانت سرعة الناقة وسيلة لهذا الحديث لان الشاعر لا يتحدث عن شيئ آخر بعد ذلك .

اما زهير بن ابي سلمى فيتف على الاطلال يصفها ثم يقول بعد ذلك (2)

فلما رأيت أنها لا تجيبني   نهضت الى وجناء كالفحل جلعد

وبعد ان يصف ناقته وصفا مستفيضا يشبهها في نهاية الامر ببقرة وحشية فيقول : (3)

---

1) هذا الشرح مقتبس من كتاب(قراءة ثانية) لمصطفى ناصف. ص: 106 ومابعدها .

2) ديوانه : دار بيروت 1982 ، ص : 19 .

3) المصدر نفسه ، ص : 21 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كخنساء سفعاء الملاطم حرة ... مسافرة مزؤدة ام فرقد
غدت بسلاح مثله يتقى به ... ويومن جأش الخائف المتوحد
وسامعتين تعرف العتق فيهما ... الى جذر مدلوك الكعوب محدد
وناظرتين تطحران قذاهما ... كانهما مكحولتان باثمد
طباها ضحاء أوخلاء فخالفت ... اليه السباع في كناس ومرقد
أضاعت فلم تغفر لها خلواتها ... فلاقت بيانا عند آخر معهد
دما عند شلو تحجل الطير حوله ... وبضع لحام في اهاب مقدد
وتنفض عنها غيب كل خميلة ... وتخشى رماة الغوث من كل مرصد
فجالت على وحشيها وكأنها ... مسربلة في رازقي معضد
ولم تدروشك البين حتى رأتهم ... وقد قعدوا ألفاقها كل مقعد
وثاروا بها من جانبيها كليهما ... وجالت وان يجشمنها الشد تجهد
تبذ الاولى ياتينها من ورائها ... وان يتقدمها السوابق تصطد
فانقذها من غمرة الموت أنها ... رأت أنها ان تنظر النبل تقصد
نجاء مجد ليس فيه وتيرة ... وتذبيبها عنها باسحم مذود
وجدت فالقت بينهن وبينها ... غبارا كما فارت دواخن غرقد
بملتئمات كالخذاريف قوبلت ... الى جوشن خاظى الطريقة مسند

وقصة البقرة الوحشية التي هي صورة لناقة زهير هي قصة الأم التى تركت ولدها بسبب البحث عن الطعام ، وحين عادت من المرعى وجدت ولدها قد افترسته السباع ، وعنصر الامومة الذي نلاحظه في حيوانات أطلال كثير من الشعراء نجده يبرز عندهم في الرحلة أيضا . ثم يطور زهير هذا الصراع ، فبعد فجيعة البقرة في ولدها تجد الصيادين أعداء الحياة يترصدون خطاها ، ويساعدها على اكتشاف هذا الترصد سمعها القوى وبصرها الحاد ، وتدور المعركة بينها وبين الصيادين ، وقد استخدموا فيها

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

السهام ثم كلاب الصيد ، ولكنها كانت تملك سلاحا تدافع به عن الحياة يتمثل في قرنيها ، ويساعدها على النجاة من الموت سرعة قوائمها اثناء الفرار . وفي الاخير تنتصر بقرة زهير على الموت اثناء هذه الرحلة كما انتصر الثور الوحشي في رحلة امرئ القيس .

ولعل رحلة لبيد بن ربيعة في معلقته ، التي يقدم فيها قصتين متكاملتين لأتان وحشية ، ولبقرة وحشية مسبوعة ، اعمق قصة في الشعر الجاهلي كله ولهذا يرى بعض الباحثين ان قصة هذه البقرة ": تكشف لنا عن قصة من قصص الصراع الدرامية في مجابهة تحديات الحياة والطبيعة ومحاولة التغلب عليها ."(1)

يبدأ لبيد معلقته بالوقوف على الاطلال ، ثم يتحدث عن رحلة الظعائن فلا يطيل الحديث ، ثم ينتقل الى رحلته على الناقة فيقول في وصف سرعتها : (2)

فلها هباب في الزمام كأنها صهباء خف مع الجنوب جهامها

وهذه هي الصورة الأولى يشبه فيها ناقته في نشاطها وسرعتها بسحابة اسقطت ماءها فاصبحت بذلك أخف وأسرع . ويبدو ان عنصر الماء الذي يتخلل الصور الباقية يصاحبنا ابتداء من هذه الصورة التي رأى بعض الباحثين انها جزئية وانها لا تتضمن شيئا الا السرعة .(3)

---

1) المشماوي : النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية " دار النهضة : بيروت ، 1980 ، ص : 251 .
2) ديوانه . ص : 168 .
3) المشماوي . النابغة ودراسة للقصيدة العربية . ص : 250 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم ينتقل الى الصورة الثانية وهي تشبيه ناقته بالاتان الوحشية فيقول (1)

او ملمع وسقت لاحقب لاحه طارد الفحول وضربها وكدامها
يعلو بها حدب الاكام مسحج قد رابه عصيانها ووحامها
باحزة الثلبوت يربأفوقها قفر المراقب خوفها آرامها
حتى اذا سلخا جمادي ستة جزء افطال صيامه وصيامها
رجعا بامرهما الى ذي مرة حصد ونجح صريمة ابرامها
ورمى دوابرها السفا وتهيجت ريح المصايف سومها وسهامها
فتنازعا سبطا يطير ظلاله كدخان مشعلة يشب ضرامها
مشمولة غلثت بنابت عرفج كدخان نار ساطع أسنامها
فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها
فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها
محفوفة وسط اليراع يظلها منه مصرع غابة وقيامها

في هذه الصورة يشبه ناقته باتان وحشية حملت من فحل شديد الغيرة عليها ولهذا حرص على ان ينأى بها بعيدا عن الاماكن التي تتعرض فيها لمطاردة الحمر الأخرى . وعنصر الامومة عند لبيد يبدأ من الوحام والحمل . ثم يقول لبيد ان هذه الاتان قد ذهبت مع فحلها الى اماكن مرتفعة ليكونا في مأمن من الصيادين ، وبقيا هناك ستة أشهر ، فهما ليسا بحاجة الى الماء في أيام الشتاء . ونستنتج من هذا ان لبيد لم يكن يشبه ناقته بالاتان في سرعتها فقط ، وانما أراد ان يقدم قصة من قصص الحياة ، اتخذ من سرعة الناقة في رحلتها وسيلة للحديث عن هذه القصة ، ولو كان يريد السرعة لما أبقى الاتان في هذه الاماكن ستة

---

1) ديوانه . ص : 168 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أشهر . ثم يتابع لبيد هذه القصة منبها الى انه ،بعد انقضاء أشهر البرد ، أصبحت الاتان مع فحلها في حاجة الى الماء فيسرعان في طلبه وتنتهي رحلتهما الى نهر تحيط به غابة كثيفة من القصب ،صرعت بعضه الرياح فمال الى الارض ،وبعضه الآخر مازال قائما .

وتنتهي قصة الاتان وفحلها عند النهر ،وهي الصورة الثانية لناقة لبيد ،تبدأ بالوحام والحمل وتنتهي بعنصر الماء ،وكلا العنصرين يرمز الى استمرارية الحياة ،وعنصر الوحام او الحمل يربط بين هذه القصة وقصة البقرة الوحشية ،بل يكاد يكون مقدمة لها . يقول لبيد في هذه القصة : (1)

أفتلك أم وحشية مسبوعة	خذلت وهادية الصوار قوامها
خنساء ضيعت الفرير فلم يرم	عرض الشقائق طوفها وبغامها
لمعفر قهد تنازع شلوه	غبس كواسب لا يمن طعامها
صادفن منها غرة فاصبنها	ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت وأسبل واكف من ديمة	يروي الخمائل دائما تسجامها
يعلو طريقة متنها متواتر	في ليلة كفر النجوم غمامها
تجتاف أصلا قالصا متنبذا	بعجوب أنقاء يميل هيامها
وتضيء في وجه الظلام منيرة	كجمانة البحري سل نظامها
حتى اذا انحسر الظلام وأسفرت	بكرت تزل عن الثرى أزلامها
عهلت تردد في نهاء صعائد	سبعا تؤاما كاملا أيامها
حتى اذا يئست وأسحق حالق	لم يبله ارضاعها وفطامها

---

1) ديوانه . ص : 171 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وتوجست رز الانيس فراعها   عن ظهر غيب والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه   مولى المخافة خلفها وأمامها
حتى اذا يئس الرماة وارسلوا   غضفا دواجن قافلا أعصامها
فلحقن واعتكرت لها مدرية   كالسمهرية حدها وتمامها
لتذودهن وايقنت ان لم تذد   ان قد أحم مع الحتوف حمامها
فتقصدت منها كساب فضرجت   بدم وغودر في المكر سخامها

يقدم لنا لبيد الصورة الثالثة لناقته ، وهي قصة لبقرة وحشية تركت ولدها وحيدا فافترسته السباع في لحظة غيابها ، وهو يلتقي مع زهير في هذا الجانب حيث يركز على عنصر الامومة المفجوعة ، ومن هنا يبدأ الصراع في القصة ، أم تفجع في ولدها فهي فزعة مذعورة لهذا الحدث من جهة ، وهي خائفة من ان تواجه المصير نفسه من جهة أخرى .

ثم يصور لبيد في هذه القصة صراعا آخر يواجه البقرة اثناء فجيعتها وخوفها ، صراعها مع الطبيعة القاسية ، حيث يتبع اللحظات التى عاشتها البقرة بعد مصرع ولدها ، فيصف تلك الليلة التي مرت بها بانها مظلمة كئيبة مكفهرة ، قد تراكمت فيها السحب ولم ينقطع عنها المطر ، فتلجأ تلك البقرة الى شجرة تحتمي بها من البرد ونزول المطر ، ولكن هذه الشجرة كانت منبوذة عن سائر الشجر ، متقلصة الاغصان ، لم تجد فيها البقرة ما كانت تبغيه من حماية ، وحتى كثبان الرمل التى كانت تحيط بها لم تكن متماسكة فكانت تنهار بين الحين والآخر ، وكان العذاب يأتيها من كل جانب ، وبهذا ينجح لبيد في تصوير صراع البقرة مع قسوة الطبيعة المحيطة بها .

ثم ينتقل الشاعر الى صراع ثالث في هذه القصة ، صراع بين الحياة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

والموت ، فما كاد صبح تلك الليلة المظلمة يسفر حتى أحست البقرة ان الصياد يترصد خطاها ، فشعرت بان الخطر يحيط بها من كل جانب فهي لذلك لا تستطيع ان تتحرك الى الامام او الى الخلف ، ثم أدركت بغريزتها ان هذه الوقفة الجامدة لن تنقذها من الخطر ، فاستجمعت كل ما لديها من ارادة ، وانطلقت في عدو سريع ، عندئذ أطلق الرماة وراها سهامهم ، فلما ذهبت أدراج الرياح ، ويئس الرماة من ان ينالوها بالسهام ، اطلقوا وراءها كلاب الصيد المسترخية الآذان الضامرة البطون ، فلحقتها الكلاب ، ولكن البقرة كانت قد أسرعت الى الكلاب فطعنتها بقرن كالرمح في طوله وحدته ، وقد أيقنت أنها في موقف لا يجدي فيه التردد أو الخوف ، فانها ان لم تقتل الكلاب قتلها الصياد وكلابه فهاجمت البقرة " كساب " وهي واحدة من تلك الكلاب التي تطاردها وألقت بها صريعة مضرجة بدمائها ، وما كادت الكلبة الثانية تكر حتى لقيت هي الأخرى مصير الكلبة الاولى (1)

وبانتهاء هذا الصراع تنتهي قصة البقرة الوحشية او الصورة الثالثة لناقة لبيد ، ونلاحظ ان الشاعر جعل البقرة تنتصر في هذا الصراع كما انتصر ثور امرئ القيس وبقرة زهير من قبل ، ويبدو أن هذه البقرة تمثل صراع الانسان بكل أبعاده خلال رحلته في الحياة ، وتمثل أيضا انتصار الانسان في هذا الصراع .

وقد أكد محمد العشماوي خلال دراسته لقصيدة لبيد هذا الصراع الموجود في صور لبيد ، وكانت ملاحظاته موفقة وعميقة ، غير انه يمكن للباحث

---

1) استعنت في هذا الشرح بتحليل العشماوي للقصيدة : كتاب النابغة ودراسة القصيدة العربية . . ص : 254 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ان يلاحظ عليه بعض الملاحظات : اولاها انه يرى ان صورة لبيد الاولى التي يشبه فيها سرعة ناقته بسحابة أسقطت ماءها هي من النوع التقريري الذي يقف عند حدود المشاكلة والمشابهة بين طرفي التشبيه.(1) ولكنا اذا وضعنا الصورة الاولى في اطار كل الصور وجدناها مقدمة طبيعية وموحية بما يأتي بعدها من الصور ، باعتبار ان عنصر الماء يتخلل الصورة الثانية والثالثة ، والملاحظة الثانية تتعلق بالصورة الثالثة فهو يؤاخذ لبيد أثناء تصويره للجو الحزين الذي كان يحيط بالبقرة أثناء فجيعتها وخوفها حيث شبهها بالدرة ، وحيث جعل الامطار التي تنزل على ظهر البقرة ، وهي من المصائب التي نزلت بها ، جعل هذه الامطار تروى الخمائل ، وهو يرى ان هاتين الصورتين تفسدان الجو الحزين الذي يبرز في كل جزئيات الصورة الثالثة . ولكن هذا الرأي يبدو متناقضا مع ما رآه هو نفسه حيث أثبت ان القصيدة الجيدة هي بناء متناقض ، وقد كان يدافع عن لبيد فيما رآه غيره من تناقض الصورة الثانية صورة الاتان الوحشية والتي ترمز الى الخصب والحياة ، والصورة الثالثة صورة البقرة الوحشية المسبوعة التي يبرز فيها عنصر الموت والفزع . ولكن اذا كان التناقض مقبولا بين الصورتين ، فلماذا لا يكون مقبولا عنده بين جزئيات الصورة الواحدة .(2)

وأخيرا هل هناك علاقة بين رحلة لبيد واطلاله في هذه القصيدة؟ ان من يقرأ مقدمة لبيد بامعان يجد ان عناصر المقدمة هي العناصر التي تتخلل الصور الثلاث في رحلة لبيد ، فعنصر الموت يكمن في هذه الاطلال التي لا تجيب لبيدا أثناء سؤاله ، وعنصر الحياة يتمثل في نزول

1) أنظر العشماوي ، النابغة ودراسة للقصيدة . ص: 250 .
2) المرجع نفسه : ص . 261 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطر على الطلل ،ونبات العشب وتوالد الحيوانات ،وهذه العناصر كلها تتخلل الصور الثلاث في رحلة لبيد في هذه القصيدة .

ومن خلال الامثلة السابقة حول رحلة الشاعر وما يتخلل صورها من صراع يتضح لنا ان هذا العنصر ،عنصر الصراع ،هو الذي يربط الطلل بالرحلة ،فالشاعر عندما كان يقف على الطلل كان يعيش هذه الاحاسيس المتناقضة ،فالطلل ماض يريد له الشاعر الاستمرار والبقاء من خلال هذه الذكريات التي يستعيدها ،ولكنه يصطدم بالواقع فيلجأ الى هذه الرحلة رحلة الحياة ،فيتخيل نفسه يعيشها بكل ما تتضمنه من صراع منتصرا على ما يوحي به الطلل ،في بعض الحالات ،من خراب وفناء .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل السادس

بعض الملامح الفنية

للصورة الطللية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما لا شك فيه ان وسيلة الشاعر لاستكشاف الاشياء كانت تتمثل في الصورة ، وكان الشاعر القديم يرسم صوره بواسطة التشبيه والاستعارة وما شابهها ولم يستطع الشاعر الحديث ان يستغنى عن هاتين الوسيلتين وان كانت الصورة الشعرية الحديثة تمتد اوسع نطاقا وأخصب من مجرد التشبيه او الاستعارة . وقد يصل التشبيه او تصل الاستعارة في بعض الاحيان الى درجة الخصب والامتلاء والعمق الى جانب الاصالة والابتداع بحيث تودي الصورة دورها .(1) وربما كان الشاعر الحديث يستعين بوسائل أخرى الى جانب هاتين الوسيلتين ليمنح صوره الخصب والعمق ،ولعل من اهم هذه الوسائل الايحاء وقد يتم هذا باختيار الكلمة المعبرة ،ووضعها في سياقها المناسب من الجملة الشعرية .

ولم تكن الصورة الشعرية ،عند الشاعر القديم منحصرة في التشبيه او الاستعارة وما اليهما ،بل كان يستغنى عنهما بالكلمة المعبرة او الوصف في بعض الاحيان ، وبذلك لا نجد فرقا كبيرا بين الشاعر القديم والحديث في هذا المجال . غير " أن الشعر الحديث يختلف عن الشعر القديم في طريقة استخدامه للصورة "(2) .

ولا شك ان طبيعة الصورة لدى الشاعر تتمثل في نقل صورة شيء واضفائها على شيء آخر ،ويظهر ان الشاعر كان يحاول ، بواسطة

---

1) عز الدين اسماعيل . الشعر العربي المعاصر ،دار الثقافة بيروت ، 1972 ، ص : 143 .

2) احسان عباس ،فن الشعر ، ص : 230 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصورة ،أن يؤلف بين الكائنات الحية من جهة ،وبين الدابعة من جهة أخرى ، فيحدث بذلك نوعا من الانسجام بين الاشياء ، وهو بهذا يرى الوجود كله حيا اذا اهتز منه جزء اهتزت له سائر الاجزاء ،والصورة تنشأ حين يحدث هذا الانسجام ، وحين يتسع خيال الشاعر فيشمل كافة الموجودات .(1) ويبدو ان خيال الشاعر الجاهلي كان يحتضن هذا المعنى عندما كان يشبه الاشياء بعضها ببعض ، او يستعير بعضها لبعض ،قد تختلف انماط الصور بين شاعر وآخر ،او بين جيل وجيل لاختلاف أنماط الحياة نفسها ولكن جوهر الفكرة يبقى ماثلا في انماط الصور عند كافة الشعراء .

والشاعر الجاهلي عندما كان يمعن في تفصيل الصورة،او يعطي للشيئ الواحد عدة صور ،كان يود ،فيما يبدو ، ان يرى الحياة في اجمل مظاهرها ،وكان يطمح كذلك الى ان يؤلف بين ما يمكن تأليفه من عناصر الوجود ،ويصهره في بوتقة واحدة ،فيعبر بذلك عن اجتماعية الحياة .

لكننا قد نتساءل أحيانا عن نشأة الصورة لدى الشاعر بصفة عامة . مما لاشك فيه ان الشاعر يتميز باحساس مرهف أكثر من غيره من الناس ،فالشعر احساس قبل كل شيئ ،وهذا الاحساس يضيق به الواقع أحيانا ،فيحاول الشاعر ان يتجاوزه ،ويستعين في هذا التجاوز بالخيال ،وربما كان الخيال هو الوسيلة الاولى التي يحلق بها

---

1) مصطفى ناصف ،الصورة الادبية ،دار مصر للطباعة ،ط.: 1، 1958 ، ص : 6 و 7 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر في اجواء بعيدة ،فيحلم باشياء لا يجدها في الواقع المحسوس " من وسائل التصوير الشعري الاسـ[illegible]ـة اذن هذا الاحساس الذي يشكل المنطلق الاول لطلقات الشاعر المختلفة .. بيد ان هذا الاحساس مهما بلغ من الحيوية ،لا يكفي في عطية التصوير ، لا ن الشاعر في أشد الحاجة الى عمل داخلي يساعد على هضم الرموز التي يتلقاها من الطبيعة ،وعلى تحويلها الى افكار وخواطر صالحة للتصوير . وهذه العملية الداخلية تحتاج ،بالاضافة الى الاحساس السالف ،الى هذا الشعور الذي يكون (واسعا) ،حينا و (دقيقا) حينا آخر . وهو (شعور باطني) ،من مهامه تحويل الاحاسيس التي تثور في نفس الشاعر الى مشاعر ترمز الى هذه الاحاسيس وتعبر عنها تعبيرا غير مباشر "(1) .

اذن فالصورة الشعرية احساس وشعور وخيال ،ويلجأ الشاعر في ابراز كل هذا الى أنواع من المجاز يستعين بها على التعبير عن احاسيسه ومشاعره ،وبذلك تكتمل لديه الصورة الشعرية ،وبهذه الوسائل يخلق الشاعر ،بخياله الخصب ،من المشبه والمشبه به ، أو المستعار والمستعار له ،شيئا جديدا نسميه الخلق أو الابداع .

(1)

اذا تتبعنا الصور المبثوثة في المقدمات الطللية لدى الشعراء

---

1) محمد مصايف ،جماعة الديوان في النقد ،مطبعة البعث ، قسنطينة ،الجزائر 1974 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجاهليين ،وجدنا ان المتقدمين منهم ،كامرئي القيس مثلا ،كانوا يميلون الى الايجاز في رسم الصور ، اما الامعان في تفصيل الصورة ،او تنويع الصور ،فقد كان يكثر في شعر الشعراء الذين جاؤا بعد امرئ القيس.

واذا استعرضنا صورة الكتابة مثلا عند امرئ القيس ، وعند الشعراء المتاخرين ،وجدنا هذا الاختلاف واضحا بينهم . يقول امرؤ القيس حين يشبه الطلل بالكتابة : (1)

أتت حجج بعدي عليها فاصبحت　　كخط زبور في مصاحف رهبان

ويقول في طلل آخر : (2)

لمن طلل أبصرته فشجاني　　كخط زبور في عسيب يمان

والصورتان في هذين الطللين صورة واحدة ،وليس هناك اختلاف بينهما الا ان الاولى في المصاحف ، والثانية في سعف النخل ، ولم يلجأ امرؤ القيس في كلتا الصورتين الى تفصيل ،كما أنه لم يحاول ان يبعث فيهما حركة او ما يشبه الحركة مثلما نجد عند الشعراء المتاخرين . وعندما نقرأ صورة الكتابة عند الشماخ بن ضرار في قوله مثلا : (3)

كما خط عبرانية بيمينه　　بتيماء حبر ثم عرض أسطرا

---

1) ديوان امرئي القيس . ص : 209 .
2) المصدر نفسه . ص : 202 .
3) ديوان الشماخ . ص : 26 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

نجده يفصل أجزاء الصورة ،فهو يبرز شكل الكتابة في كلمة " عبرانية " ،ويضيف اليه صفة الابهام في كلمة " عرض " ،ويبرز صورة الكاتب في كلمتي : " حبر " و " بيمينه " والمكان في كلمة : " تيماء ". وبالاضافة الى هذا نجده يبعث في هذه الصورة حركة باستخدامه لفعلي : " خط " و " عرض ".

اما زهير فيجدد في صورة الكتابة حين يجسمها في نقوش على الحجر ، حيث يقول : (1)

لمن الديار غشيتها بالفرفد   كالوحي في حجر المسيل المخلد

ويخصص لصورة الكتابة ،بالاضافة الى هذا التجديد نوعا من الحجارة يضمن لها البقاء .

ويبدو ان لبيد ابن ربيعة يقلد زهيرا في صورة الكتابة حين يجسمها في نقوش ،وان كان لبيد يختلف عن زهير في طريقة استخدام هذه الصورة ، حيث يقول : (2)

فمدافع الرياح عرى رسمها   خلقا كما ضمن الوحي سلامها

ولا يكتفي لبيد في معلقته بهذه الصورة للكتابة ،بل يضيف اليها صورة أخرى بحيث تتعدد صور الكتابة بتعدد صور الطلل يقول لبيد : (3)

---

1) ديوان زهير ، ص : 268 .

2) ديوان لبيد ، ص : 297 .

3) المصدر نفسه ،ص: 299 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وجلا السيول عن الطلول كأنها   زبر تجد متونها أقلامهـــا

وقد مر بنا في غير هذا الفصل ، أن الفرزدق قد سجد اعجابا بهذه الصورة عند سماعه هذا البيت .

اما ابو ذؤيب الهذلي فانه يقدم صورة الكتابة فيما يشبه القصة اذ يقول : (1)

عرفت الديار كرقم الدواة   يزبرها الكاتب الحميري

أدان وأنباه الاولون   أن المدان الملي الوفي

فنظر في صحف كالريا   ط فيهن ارث كتاب محي

وواضح من هذا ان صورة الكتابة تختلف بين الشعراء المتقدمين والمتأخرين كما انها تختلف بين شاعر وآخر .

واذا ما جئنا نستقرئ صورة الوشم وجدنا ما تشبه صورة الكتابة في هذا التنوع ، ويظهر ان التشبيه بالوشم لم يكن معروفا عند الشعراء المتقدمين ، أو على الاقل لم يصل الينا الشعر الذي فيه صورة الوشم . فامرؤ القيس لا نكاد نعثر في ديوانه على صورة من هذا النوع ، ويبدو ان اول شاعر شبه الطلل بالوشم هو طرفة بن العبد (2) . حيث يشبهه بباقي الوشم ، فيقول : (3)

---

1) ديوان الهذليين ، ق : 1 ، ص : 64 - 65 .

2) انظر شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي . دار المعارف ط/ 7 . 1969 . ص : 19 .

3) ديوان طرفة . ص : 30 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لخولة أطلال ببرقة ثهمد   تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ولا شك ان زهيرا اخذ هذه الصورة عن طرفة، ورأي أن صورة الوشم في ظاهر اليد لا تظهر بوضوح ،فعمد الى جعلها في باطن المعصم لتكون أوضح ،كما أنه جعل هذا الوشم مرجعا مجددا . يقول زهير: (1)

ديار لها بالرقتين كأنها   مراجيع وشم في نواشر معصم

ويمعن لبيد بن ربيعة في تفصيل أجزاء صورة الوشم في معلقته فيقول : (2)

أو رجع واشمة أسف نؤورها   كففا تعرض فوقهن وشامها

كما انه ينقل صورة الوشم ،في طلل آخر ، من المعصم الى ظاهر أصابع اليد ،حيث يقول : (3)

أو مسلم عملت له علوية   رصنت ظهور رواجب وبنان

وواضح من هذا ان صورتي الكتابة والوشم قد تطورتا بين الشعراء المتقدمين والمتاخرين ، سواء كان ذلك بتفصيل أجزاء الصورة ،أو ببث نوع من الحركة فيها ، ويمكن ان نقول هذا في الصورة الشعرية الجاهلية بصفة عامة .

---

1) ديوان زهير . ص: 5 .
2) ديوان لبيد . ص: 299 .
3) المصدر نفسه . ص: 139 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك بعض الشعراء لا يكتفون بتفصيل أجزاء الصورة ، وانما يلجأون الى أسلوب آخر يتمثل في تركيب الصور أو تداخلها ،فيشبهون شيئا بشئ ،ثم يشبهون المشبه به بشئ آخر . او انهم يحاولون أن يرسموا الصورة نفسها ،فأبو ذؤيب الهذلي مثلا يشبه الطلل بالكتابة ثم يشبه الكتابة بالوشم ،حيث يقول : (1)

عرفت الديار كرقم الدواة يزبرها الكاتب الحميري
برقم ووشي كما زخرفت بميشمها المزدهاة الهدي

ويشبه بعد ذلك الاثافي بالنوق ،ثم يشبه النوق بالنساء النائحات فيقول : (2)

كعوذ المعطف احزى لها بمصدرة الماء رأم رذى
فهن عكوف كنوح الكريم قد لاح اكبادهن الهوى

فتتداخل عنده الصور ،وتتولد في طلل واحد مرتين ،ولعله كان يطمح في ذلك الى تكثيف الصورة ،واعطائها ابعادا مختلفة ومتعددة . ويرى بعض النقاد المحدثين ان حالة الاستغراق اللا شعوري هي التي تسلم الى مثل هذه الصور .(3)

---

1) ديوان الهذليين . ق : 1 ،ص: 64- 65 .
2) المصدر نفسه . ص: 64- 65 .
3) عز الدين اسماعيل . التفسير النفسي للادب ،دار العودة ،بيروت 1962 . ص: 64 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولا يكتفي بعض الشعراء باعطاء صورة واحدة للطلل ، وانما يحاولون رسمه في عدة صور ، ويبدو ان هذه الظاهرة لم تكن منتشرة عند الشعراء المتقدمين ، بل اننا نجد امرأ القيس مثلا قليل الصور في مقدماته الطللية .(1) فاذا ما وصلنا الى طرفة بن العبد مثلا وجدناه يعطينا عدة صور للطلل ، يشبه الطلل بالكتابة ثم يشبه النعام فيه باماء يحطن الحطب يقول طرفة :(2)

كسطور الرق رقشه بالضحى مرقش يشمه

ثم يقول بعد ذلك :(3)

لا أرى الا النعام به كالاماء أشرفت حزمه

فاذا ما كنا بصدد لبيد بن ربيعة وجدناه يعطي للطلل عدة صورة ، يشبه الطلل بالكتابة ، ويبرزه في صورتين : صورة نقوش على الحجر وصورة كتابة امحت ، ثم أعيد تجديدها ، يقول لبيد :(4)

فمدافع الريان عري رسمها خلقا كما ضمن الوحي سلامها
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

---

1) حسين عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي .ص: 180 .
2) ديوان طرفة . ص : 149 .
3) ديوان طرفة . ص : 150 .
4) ديوان لبيد بن ربيعة . ص : 199 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثم يرسم الطلل في صورة وشم ويقول : (1)

أورجع واشمة أسف نـؤورهـا   كففا تعرض فوقهن وشامهـا

وقد حاول بعض النقاد المحدثين أن يجد تفسيرا لتعدد الصور، فرأى " أن الشاعر الجاهلي كان يسعى الى ان يبرز الاشياء والاحياء في صورة يمكن ان نسميها " صورة الكمال " لذلك نراه اذا تحدث عن شيئ تركه فجأة فشبهه بشيئ آخر يجده " أكمل " صفة من ذلك الذي يتحدث عنه "(2). ولكن الذي يبدو هو أن الشاعر يريد ان يعطي للشيئ الذي يرسمه ابعادا متعددة بمقدار تعدد الصور .

والذي يتتبع صور الشعراء المتأخرين الطللية يدرك مدى أثر مدرسة زهير ،او أوس بن حجر ، على هؤلاء الشعراء في تشكيل صورهم . وكان أعتمادهم في هذا التشكيل على العناصر المادية التي تتصل بالحواس . وبالاضافة الى ذلك يحس الباحث انهم كانوا يؤلفون هذه الصور تأليفا ،وهما الميزتان اللتان عرفت بهما مدرسة أوس بن حجر أو زهير فيما يرى بعض المحدثين . (3)

ويمكن لنا ان نقول أيضا ان الحياة فرضت على المتأخرين أنماطا

---

1) ديوان لبيد بن ربيعة . ص : 199 .

2) عبد القادر القط . في الشعر الاسلامي والاموي ،دار النهضة العربية ،بيروت . 1977 . ص: 440 .

3) انظر : طه حسين . في الادب الجاهلي ،دار المعارف . ط/7. 1968، ص : 171 . وشوقي ضيف : الفن ومذاهبه في الشعر العربي ص : 25 وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

من الصور لم تكن موجودة عند الشعراء المتقدمين ، وان الصورة الشعرية تتعقد تبعا لتعقد الحياة ، وتتطور تبعا لتطورها .

(2)

لا يمكن للباحث الذي يتحدث عن الصورة الشعرية ان يهمل العناصر التي تتالف منها ، ولعل اهم هذه العناصر هو الالفاظ التي يختارها الشاعر لتأليف صورته الشعرية ، وقد يكون عنصر الموسيقى أهم شئ في الالفاظ المختارة ، اذ به يضيف الشاعر الى الصورة بعدا حركيا ، او يبرز عاطفة معينة يريد الالحاح عليها .

وقد اهتم الشعراء القدماء بالجرس الذي يحدثه تناغم الحروف بعضها مع بعض في بنية الكلمة ، وربما كان هؤلاء الشعراء انما يختارون بعض الكلمات لهذه الخاصية الموسيقية .

وقد ذهب بعض الباحثين القدماء والمحدثين الى ان لجرس الالفاظ علاقة بالمعنى الذي تدل عليه ، ويؤكدون ان جميع الفاظ اللغة وضعت حاكية بأصواتها لمعانيها (1)

---

1) انظر : ابن جني في الخصائص . تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت لبنان ط/2 (بدون تاريخ) ص : 64 و 65 . والسيوطي في المزهر ، دار احياء الكتب العربية ط/ 2 . ج : 1 ، ص : 14 و 15 . وجرجي زيدان في الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، دار الهلال . ط/2 ، 1904 ، ص: 139 . والنويهي ، في الشعر الجاهلي ، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ، ج / 1 . ص : 65 . وما بعدها .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويبدو ان عنصر الموسيقى في الالفاظ يضيف الى الصورة شيئا ما ، وقد يكون لتكرار حرف من الحروف علاقة بعاطفة معينة ، وقد يقصد الشاعر بتكرار هذا الحرف احداث نغم من خلال الكلمات التي يرد فيها .

فاذا ما تتبعنا حرف الراء مثلا وجدنا بعض الشعراء يلجأون الى تكراره في العبارات التي تدل على الدوام والاستمرار ، وحرف الراء ، كما هو معروف في الصوتيات ، يوصف ب " التكرار " ، وذلك لانه يصدر عن قرع اللسان للحنك الاعلى عدة مرات ، فهل اختيار الشاعر للالفاظ التي تتضمن حرف الراء على شيء مرتبط بالمعنى ؟(1) وهل يدلنا مثلا قول امرئ القيس في الشطر الاول من هذا البيت على شيء .(2)

ترى بعر الآرام في عرصاتهـا   وقيعانها كانه حب فلفـل

فهل يدل على ان امرأ القيس كان يريد ان يقول : ان هذه الصورة متكررة في الطلل ؟ ام انه مجرد ايقاع يبدو أن الشاعر تعمد احداثه من خلال اختياره لهذه الالفاظ التي فيها حرف الراء ؟

غير اننا نميل الى تأكيد فكرة ارتباط تكرار حرف الراء بعاطفة معينة في بيت امرئ القيس التالي : (3)

---

1) يرى ابن جني في ، الخصائص ، ج : 2 : ص164 : ان تكرار حرف الراء في فعل " جرّ " مثلا يوافق المعنى ، لأن الشيء اذا جرّ اهتز .

2) ديوان امرئ القيس . ص : 203 .

3) المصدر نفسه . ص : 402 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قف على الدار التي غيرها بارح القطر وتكرار الحقب

يعني ان الذي غير الدار هو دوام القطر وتكرار الازمنة ، ويبدو أن تكرار حرف الراء في جل كلمات البيت يعبر في نفس الشاعر عن فكرة الدوام . ويمكن أن نقيس على بيت امرئي القيس هذا بيتا للنابغة الذبياني ، فهو شبيه به في فكرة التكرار : (1)

تعاورها السواري والغوادي وما تذري الرياح من الرمال

ولفظ " تعاورها " في بيت النابغة يؤكد فكرة التكرار في المعنى بالاضافة الى تكرار حرف الراء في جل الفاظ البيت ،فهل أراد النابغة ان يؤكد ،من خلال تكرار الحرف ،دوام الرياح والامطار ،وتكرارها في الطلل ؟

وهل اراد طرفة بن العبد أن يعبر عن تكرار جريان السيول في الطلل عندما كرر حرف الراء في الشطر الثاني من هذا البيت ؟ :(2)

لعبت بعدي السيول به وجرى في رونق رهمه

وهل اراد ايضا ان يعبر عن احساسه بدوام اقفار المنازل عندما كرر حرف الراء في الشطر الأول من هذا البيت ؟ : (3)

اتعرف رسم الدار قفرا منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله

---

1) ديوان النابغة . ص : 203 .

2) ديوان طرفة . ص : 149 .

3) المصدر نفسه . ص : 122 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وهناك بعض الشعراء يتكرر عندهم الحرف في البيت او البيتين ومنهم من يزاوج بين بعض الحروف التي تتقارب مخارجها ،او تشترك في الصفات ، كالصاد والسين ،والسين والشين ،والدال والذال ، والنون والميم ،وغيرها من الاحرف ،فنحس لهذا ايقاعا معينا يضفي على الصورة نوعا من الحركة وعلى نغم القافية ايقاعا مضاعفا .

ولا شك ان تكرار حرف الفاء بمختلف حركاته يتناسب وقافية القصيدة ،وذلك في الشطر الثاني من بيت اوس بن حجر التالي :(1)

بها العين والارام ترعى سخالها فطيم ودان للفطام وناصف

ويبدأ اوس بن حجر في الشطر الثاني بالترب الاكبر ويختم بالترب الاصغر ،مما يدل على انه يحاول ان يسترجع الشباب او الماضي من خلال هذا التعبير ،ادرك ذلك ام لم يدرك .

ويظهر ان بعض الشعراء كانوا يعمدون الى تكرار الحروف ليحدثوا في قصائدهم نوعا من النغم . فهل كان طرفة يتعمد احداث هذا النغم الذي يتكون منه جناس او ما يشبهه بتكرار حرف الراء والقاف والشين في البيت التالي : (2)

كسطور الرق رقشه بالضحى مرقش يشمه

---

1) ديوان اوس بن حجر . ص: 63 .

2) ديوان طرفة . ص: 149 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

اما لبيد فنجده يزاوج بين الخاء والدال في البيت الاول، وبين الخاء والذال في البيت الثاني من قوله : (1)

خلدت ولم يخلد بها من حلها وتبدلت خيلا من الاحدان
والخاذلات مع الجاذر خلفة والادم حانية مع الغزلان

ونكاد نسمع أنين النابغة وبكاءه عندما يزاوج بين حرفي الميم والنون او التنوين في حديثه عن حزنه اثناء وقوفه على الطلل في البيت التالي : (2)

بكاء حمامة تدعو هديلا مفجعة على فنن تغني

ولا شك ان بعض الشعراء كانوا يتعمدون تكرار الحرف في البيت او القصيدة ، ولا يمكن ان يكون حرف الصاد في قصيدة لعبيد بن الابرص جاء عفويا ، ويمكن الاستشهاد على هذا بالبيتين الثاني عشر والخامس عشر من هذه القصيدة : (3)

تلاوص في المداس ملاوصات له طص دواجن بالملاص
وباص ولاص من طص ملاص وحوت البحر اسود ذو ملاص

اذا عرفنا ان الصاد يوصف الصفير ، فهل كان عبيد يحاكي صوت المواصف التي يتحدث عنها في اول القصيدة ؟ ام انه كان يحاكي

---

1) ديوان لبيد . ص : 140 .
2) ديوان النابغة . ص : 251 .
3) ديوان عبيد . ص : 77 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

صوت البحر او الحوت الذي يتحدث عنه بعد ذلك ؟ ام انه كان يتكلف هذه الالفاظ التي تحتوي على حرف الصاد ، والتي تكاد تطغى على القصيدة كلها .

وواضح من هذا ان عنصر الموسيقى في الالفاظ التي يوظفها الشاعر عنصر هام ، اذ ان الشعر بناء يراعي فيه الجانب الموسيقي قبل كل شيء ، سواء سلمنا بالرأي القائل ان الألفاظ حاكية باصواتها لمعانيها ام لم نسلم .

وبالاضافة الى عنصر الموسيقى هناك عنصر لا يقل اهمية عنها ، وهو يتمثل في الكلمات ذات الابعاد المختلفة ، او التي تتضمن عنصر الايحاء . فعندما اراد طرفة بن العبد ان يتحدث عن أثر السيول في الطلل ، استعار له لفظ " اللعب " فقال : (1)

لعبت بعدي السيول به وجرى في رونق رهمه

مما جعلنا عند قراءة هذا البيت نتخيل السيول أطفالا يلعبون بشيء مقدس لدى الشاعر . وربما اضافت كلمة " بعدي "، ايحاء آخر يوحي بان هذا اللعب وقع في غيابه ، ولو كان حاضرا ما وقع هذا العبث بالطلل . ونحس في الاخير بان الشاعر قد ارتاح لما نتج عن لعب السيول ، فهو يصور في الشطر الثاني من هذا البيت الماء وهو يتخلل العشب ، وينساب في غير عنف ، ونحس أيضا ان هناك ايقاعا

---

1) ديوان طرفة ، ص : 149 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

موسيقيا تلتذ به الاذن يسرى في كامل البيت ،وليس هذا الايقاع رتيبا ولكنه متنوع ،فيه نغم تكرار حرف الباء في الشطر الاول ، وفيه نغم تكرار حرف الراء في الشطر الثاني . والشاعر قد وفق ،فيما نرى في اختيار الكلمات المعبرة والايقاع المناسب .

اما بشر بن ابي خازم فينسب هذا اللعب الى الرياح حين يقول:(1)

لعبت بها ريح الصبا فتنكرت الا بقية نؤيها المتهدم

ويضيف الى كلمة " لعبت " وما فيها من ايحاء ،كلمة " تنكرت " التي يشرحها بعضهم بكلمة :" تغيرت " ويبدو ان هذا التفسير يسيء الى هذه الكلمة ،ويفقدها ما تتضمن من ايحاء . ولم يستخدم هذا الشاعر او غيره فعل " تغير " وهو على وزن تنكر الا لانه لا يتضمن الايحاء الموجود في فعل " تنكر " . ونحس ان الشاعر ،باستخدامه لهذا الفعل اراد ان يقول : ان هذا الطلل قد تزيا بغير زيه لكي لا يعرفه الشاعر في يسر .

ويظهر ان فعل " تنكر " يتجاوب مع اللعب او التلاعب . ولهذا نجد لبيد ابن ربيعة يقول في هذا المعنى : (2)

دمن تلاعبت الرياح برسمها حتى تنكر نؤيها المهدوم

---

1) ديوان بشر ،ص : 178 ،والمفضلية : 99 ، ص : 345 .

2) ديوان لبيد ، ص : 19 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وبالاضافة الى هذا فان بعض الشعراء يستخدمون بعض الكلمات او الافعال ليبثوا في المناظر الذين يريدون ان يرسموه حركة أو حياة بدون ان يلجأوا الى الاستعارة او التشبيه او ما يشبههما .

فعندما أراد زهير بن ابي سلمى ان يبعث حركة بقر الوحش والآرام في الطلل استخدم كلمة " خلفة " في قوله : (1)

بها العين والآرام يمشين خلفه   وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

مما استغنى معه عن التشبيه او الاستعارة في رسم حركة هذا المشهد . وبالاضافة الى ذلك استعان في بث الحركة بفعلي : "يمشين" و " ينهضن " . وكثير من الشعراء يستعملون مثل هذه الافعال للغرض نفسه ،فالاخنس بن شهاب التغلبي يضفي على الصورة التي يرسمها للنعام في الطلل حركة ،وذلك باستخدامه " تزجى " . يقول : (2)

تظل بها ربد النعام كانها   اماء تزجى بالعشي حواطب

والمرقش الاصغر يستخدم الفعل نفسه ،فيقول : (3)

تزجى بها خنس الظباء سخالها   جآذرها بالجو ورد واصبح

وهكذا يتضح ان وسائل الشاعر القديم لبناء الصورة كانت تتمثل

---

1) ديوان زهير ، ص : 5 .

2) المفضلية : 41 ، ص : 204 .

3) المفضلية : 55 ، ص : 241 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

في اختيار الالفاظ ذات النغم الموسيقي ،وفي اختيار الكلمات الموحية او المعبرة ، بالاضافة الى استعمال الافعال التي تبعث في صورة الحركة والحياة .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمـــــــــة

ان الشاعر الجاهلي عندما كان يقف على الاطلال ،كان يعبر عن مشكلة انسانية واجهت الانسان في مختلف العصور ، فمنذ أن وجد هذا الانسان في الكون وهو يتساءل عن وجوده ومصيره ، وكان بكاء الشاعر على بقايا الطلل بكاء على نفسه في الوقت ذاته لانه كان يؤمن بانه سيرتحل في يوم ما ،ويترك طللا مشابها لهذا الطلل الذي يتحدث عنه ، فالحياة عند الشاعر كانت متشابهة او كالمتشابهة قد تختلف في بعض التفاصيل ولكن تربط بينهما علاقة واحدة واحساس واحد ،يدرك هذا كل من اهتم بدراسة هذه المقدمات .

وقد يستنتج القارئ لهذا البحث بعض النتائج التي لا يخلو منها اي بحث جاد ،والتي يمكن تلخيصها فيمايلي :

أولا : ان أبرز فكرة تواجهنا في الفصل الأول من هذا البحث هي فكرة الامومة التي كانت تتجلى في تشبيه الطلل بالناقة والحمامة، ونستنتج من هذه الفكرة :

أ - ان الامومة كانت مقدسة عند القدماء ولهذا نجد بعض الشعراء يستلهمونها اثناء التعبير عن أحاسيسهم المختلفة .

ب - ان الناقة والحمامة كانتا رمزا لهذه الفكرة لارتباطهما بفكرة الأمومة في بعض الاساطير القديمة والقصص الديني .

جـ - ان الامومة كانت ترمز الى الخصب واستمرارية الحياة ولهذا نجد هؤلاء الشعراء يستخدمونها وسيلة للتغلب على فكرة الفناء التي يوحي بها الطلل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا - وأهم شيء يمكن استنتاجه من قراءة الفصل الثاني هو انتماء الشاعر الجاهلي الى الحضارات القديمة ، ويبرز هذا الانتماء الحضاري في تشبيه الطلل بآثار الانسان ، من كتابة ووشم وثياب وغيرها . غير ان هذا الانتماء يبرز أكثر في صور الكتابة والثياب والشاعر في كل ذلك ينطلق من الماضي ، ولكنه يحاول دائما ان يجدد هذا الماضي بواسطة تجديد صورتي الكتابة والوشم . ويمكن تلخيص هذا الانتماء في الاستنتاجات التالية :

أ - انتماء ثقافي ، ويبرز ذلك عند ما ينسب صورة الكتابة الى كاتب ينتمي الى حضارة ما ، وغالبا ما يكون هذا الكاتب يمنيا ، او ينسب الصحيفة الى الفرس ، وعندما يشبه الطلل بالثياب ينسبها في الغالب الى اليمن لما اشتهر به من صنع الثياب الموشاة .

ب - انتماء روحي ، ويتجلى ذلك في ربط الكتابة بالدين ، فهناك بعض الشعراء عندما يشبهون الطلل بالكتابة ينسبون هذه الكتابة الى الرهبان او الاحبار .

جـ - انتماء الى التراث الفني ، ونلمس هذا عندما نجد بعض الشعراء يبرزون صورة الكتابة فيما يشبه التعاويذ او الرقى ، وبذلك يربطون الفن بالماضي ، لان بعض الباحثين يرى ان فن الرسم والنحت وما شابههما قد تطور من السحر .

ومن خلال هذه الصور يمكن ان نقول ان الطلل رمز لماض من حضاري يمكن له أن يتجدد .

ثالثا - وأهم فكرة تصادفنا في الفصل الثالث هي فكرة اعادة

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحياة الى الطلل ، ويتجلى ذلك في صورة الخصب التي يرسمها الشاعر الجاهلي في ربوع الطلل ، ويمكن تلخيص ذلك فيمايلي :

أ ـ الماء ، عبر الشاعر عن هذا العنصر بشيئين متناقضين شبيهين بتناقض الحياة نفسها ، فهو عنصر خراب ودمار يمحو معالم الطلل وهو عنصر حياة وخصب يبعث في الطلل حياة جديدة تتمثل في نبات العشب . وقد رسم بعض الشعراء هذا العشب في صور تدل على رغبتهم في خلق حياة جديدة مشابهة له .

ب ـ خصب الحيوان ، وقد تخيل الشعراء بعض الحيوانات ترعى هذا العشب الذي نبت في الطلل ، ولكنهم تخيلوا خصبا آخر يتمثل في توالد هذه الحيوانات .

جـ ـ صور الحيوانات ، بعض الشعراء يرسمون هذه الحيوانات الوحشية في صورة حيوانات داجنة ينتفع بها الانسان ، وبعضهم يرسمها في صورة تجار يسعون في طلب الرزق ، وبعضهم يرسمها في صورة عباد يؤدون بعض الطقوس الدينية ، ومن خلال ذلك نستشف صورة عالم مثالي لدى الشاعر تمتزج فيه الحياة المادية بالحياة الروحية . و بهذا العالم المثالي يتغلب الشاعر على فكرة الفناء التي تثيرها في احساسه بقايا الطلل .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

رابعا - ان أهم شيئ يلفت الانتباه - عند قراءة الفصل الرابع، هو صورة المرأة في الطلل ، ويتمثل ذلك فيمايلي :

أ - شبه الشعراء المرأة بالظبي والبقرة الوحشية ، وهما من الحيوانات التي يتخيل الشعراء ، عادة انها تخلف المرأة في الطلل وشبه بعضهم النعامة بالمرأة وهي ثالث حيوان الطلل ،كما شبه بعضهم الناقة بالمرأة ، والناقة صورة من صور الطلل اذ شبه بعض الشعراء الاثافي بالنوق .

ب - ان الحيوانات والاشياء التي تشبه بها المرأة تشترك مع بعضها في الصور ،ومعنى هذا ان هناك علاقات بين الصور التي أضفاها الشعراء على المرأة ،وربما كانت هذه العلاقات أسطورية ترجع الى الماضي البعيد .

خامسا - يبدو ،من خلال قراءة بعض القصائد الجاهلية أن هناك علاقة بين الرحلة والطلل ،وقد لاحظنا في الفصل الخامس أن هذه العلاقة تبرز فيما يلي :

أ - ان الرحلة تبدأ - في الغالب ، بعد الوقوف على الطلل

ب - ان الصراع بين الحياة والموت الذي يبرز بوضوح من خلال صور الطلل ،نجد ما يشبهه في صور الرحلة عندما يشبه الشاعر ناقته بسرعة السير .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سادسا ـ ان الصور في المقدمات لم تكن مستقرة عند الشعراء وانما عرفت نضجا وتطورا بين الشعراء المتقدمين والمتأخرين ، ويتجلى ذلك في طبيعة الصورة وتنوعها ، او اختيار الكلمة المعبرة الموحية او ذات النغم الموسيقي التي تبرز بموسيقاها احيانا عاطفة الشاعر او تضفي على الصورة نوعا من الحركة والحياة .

هذه هي أهم النتائج التي توصلنا اليها في هذا البحث والتي رأينا من المفيد تسجيلها في هذه الخاتمة الموجزة . وان كنا نامل ان يجد القارئ لهذا البحث نتائج أخرى من شأنها القاء مزيد من الضوء على المقدمة الطللية في القصيدة العربية الجاهلية .

والله ولي التوفيق

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفهـــــــــارس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس

القصائـد المعتمـــدة فـي البحــث

البحر	مطالـــع القصيـــدة	الشاعـــر
خفيـف	منع النوم ماوي التهمـــــام وجديـر بالهم من لا ينـــام	أبـو دواد الايادي
متقارب	عـرفت الديـار كرقـم الـــدواة يزبرهـا الكاتـب الحميـري	أبو ذؤيب الهذلي
طويـل	لابنـة حطـان بن عـوف منـــازل كما رقش العنوان في الرقكاتب	الاخنس بن شهاب التغلبـــي .
طويـل خفيف سريع متقارب	تصابيت ام بانت بعقلـك زينـــب وقـد جمل الود الذيكان يذهب من ديار بالهضبهضب القليـــب فاض ماء الشؤون فيض الفـــروب شاقتك من قتلـة أطـلالهـــــا بالشـط فالوتر الى حاجـــــر لميثاء دار عفارسمهـــــا فما أن تبين أسطارهـــــا	الاعشى ، ميمون بن قيس

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر	مطلع القصيدة	البحر
الاعشى ، ميمون بن قيس	نام الخلي وبت الليل مرتفقا ارعى النجوم عميدا مثبتا أرقا	بسيط
امرؤ القيس	قف على الدار التي غيّرها بارح القطر وتكرار الحقب	رمل
" "	سمالك شوق بعد ما كان أقصرا وحلت سليمى بطن قوّ فعرعرا	طويل
" "	أماويّ هل لي عندكم من معرس ام الصرم تختارين بالوصل نيأس	"
" "	الاعم صباحا ايها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي	"
" "	قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل	طويل
" "	لمن طلل أبصرته فشجاني كخط زبور في عسيب يمان	"
" "	قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان	"
أمية بن أبي الصلت	عرفت الدار قد أقوت سنينا لزينب اذ تحل بها قطينا	وافر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر	مطلع القصيدة	البحر
اوس بن حجر	حلت تماضر بعدنا ربا فالغمر فالمرين فالشعبا	كامل
" " "	تنكر بعدي من أميمة صائف فبرك فاعلى تولب فالمخالف	طويل
بشر بن ابى خازم	أمن ليلى وجارتها تروح وليس بحاجة منها مريح	وافر
" " "	عفت أطلال مية بالجفير فهضب الواديين فبرق ايـر	"
" " "	أمن دمنة عادية لم تأنس بسقط اللوى بين الكثيب فمسمس	طويل
" " "	هل أنت على اطلال مية رابع بحوضى تسائل ربعها وتطالع	"
" " "	الا ظعن الخليط غداة ريعوا بشبوة فالمطي بنا خضوع	وافر
" " "	أحق ما رأيت ام احتلام أم الاهوال اذ صحبى نيام	"
" " "	لمن الديار غشيتها بالانعم تبدو معارفها كلون الأرقم	كامل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعــــــر	مطلـــع القصيــــدة	البحر
ثعلبة بن صعير	هل عند عمرة من بتات مسافــر ذي حاجة متروح او باكـــــر	كامل
" " "		
ثعلبة بن عمرو العبدي	لمن دمن كانهن صحائـــف قفار خلا منها الكثيب فواحـــف	طويل
حاتم الطائـــي	أتعرف أطلالا ونؤيا مهدمـــا كخطك في رق كتابا منمنمـــا	طويل
الحادرة قطبة بن اوس	بكرت سمية غدوة فتمتـــع وغدت غدو مفارق لم يرجـــع	كامل
الحارث بن حلزة	آذنتنا ببينها أسمـــاء رب ثاو يمل منه الثـــواء	خفيف
" " "	لمن الديار عفون بالحبـــس آياتها كمهارق الفـــرس	كامل
الحارث بن عباد البكـــري	هل عرفت الغداة رسما محيـــلا دارسا بعد اهله مجهـــولا	خفيف

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطلـــع القصيـــدة	الشاعـــر
وافر	عرفت ديار زينب بالكثيـــب كخط الوحي في الورق القشيب	حسان بن ثابت
طويل	لمن منزل عاف كان رسومـــه خياعيل ريط سابريّ مرســـم	" " "
طويل	الا طرقت هند الهنود وصحبتـــي بحوران حوران الجنود هجـــود	الحطيئة، جرول ابن أوس
"	عفا مسحلا ن من سليمي فحامـــره تمشى به ظلمانه فجـــآذرة	" " "
وافر	عرفت منازلا من آل هنـــــد عفت بعد المؤبـــل والشـوي	" " "
طويل	أبى الرسم بالجونين ان يتحـــولا وقد زاد بعد الحول حولا مكمـلا	خراشة بن عمر والعبسي
طويل	جرى لي طير في حمام حـــذرته عليك ابن عمرو من سنيح وبـارح	الخنساء، تماضر بنت عمـرو .
كامـل	يابن الشريد وخير قيس كلهـــا خلفتني في حسرة وتبلـــد	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطلع القصيدة	الشاعر
سريع	يا عين جودي بالدموع الغزار وابكي على اروع حامي الذمار	الخنساء تماضر بنت عمرو
بسيط	بانت سعاد فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا	ربيعة بن مقروم
كامل	صرمت جديد حبالها اسماء ولقد يكون تواصل واخاء	زهير بن ابى سلمى
وافر	عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالحساء	" " "
طويل	غشيت الديار بالبقيع فثهمد دوارس قد أقوين من أم معبد	" " "
كامل	لمن الديار غشيتها بالفرفد كالوحي في حجر المسيل المخلد	" " "
كامل	لمن الديار بقنة الحجر أقوين من حجج ومن شهر	" " "
بسيط	ان الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا	" " "
كامل	لسلمى بشرقي القنان منازل ورسم بصحراء اللبيين حائل	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطلع القصيدة	الشاعر
متقارب	أمن آل ليلى عرفت الطلولا بذي حرض ما ثلاث مثولا	زهير بن ابي سلمي
كامل	هاج الفؤاد معارف الرسم قفر بذي الهضبات كالوشم	" " "
طويل	أمن ام أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدراج فالمتثلم	" " "
بسيط	قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الارواح والديم	" " "
وافر	لمن طلل برامة لا يريم عفا وخلاله عهد قديم	" " "
طويل	أهاجك مغنى دمنة ورسوم لقيلة منها حادث وقديم	ساعدة بن جؤية الهذلي
بسيط	أودى الشباب حميدا ذو التعاجيب أودى وذلك شأو غير مطلوب	سلامة بن جندل
طويل	لمن طلل مثل الكتاب المنمق خلا عهده بين الصليب فمطرق	" " "
كامل	هاج المنازل رحلة المشتاق دمن وآيات لبثن بواقي	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطالـــع القصيـــدة	الشاعـــر
رمـل	بسطت رابعة الحبل لنـــا فوصلنا الحبل منها ما اتســـع	سويد بن أبي كاهل
طويل	أتعرف رسما دارسا قد تغيير بذروة أقوى، بعد ليلى واقفـــرا	الشماخ بن ضرار
بسيط	بانت سعاد فنوم العين مطـــول وكان رقصر في عهدهـــا طـــــول	" " "
طويل	أمن دمنتين عرج الركب فيهمـــا بحقل الرخامى قد أنى لبلاهمـــا	" " "
طويل	بليت كما يبلى الرداء ولا أرى جنابا ولا أكناف ذروة تخلـــــق	صخر الخضـــر (بيت مفـرد)
وافـر	وما ان صوت نائحة بليـــــل بسبلل لاتنام مع الهجـــــود	صخر الغي الهذلي
طويل	لخولة أطلال ببرقة شهمـــد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليـــد	طرفة بن العبـد
"	أتعرف رسم الدار قفـرا منازلـه كجفن اليماني زخرف الوشي ماثلـــه	" " "
"	لهند بحزان الشريف طلـــول تلوح وأدنى عهدهن محيـــــل	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطالع القصيدة	الشاعر
مديد	أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه	طرفة بن العبد
بسيط	أصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتني لدى العطل	الطغرائي
كامل	لمن الديار بتولع فييوس فبياض ريطة غير ذات أنيس	عبد الله بن سلمة الغامدي .
طويل	أشتَّ بليلى هجرها وبعادها بما قد تواتينا وينفع زادها	عبد الله بن عنمة الضبي .
خفيف	لمن الدار أقفرت بالجناب غير نؤي ودمنة كالكتاب	عبيد بن الابرص
طويل	لمن دمنة أقوت بجوة ضرغد تلوح كعنوان الكتاب المجدد	" " "
كامل	لمن الديار بساحة فحروس درست من الاقفار أي دروس	" " "
وافر	أرقت لضوء برق في نشاص تلألأ في مملأة غصاص	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطلـــع القصيـــدة	الشاعـــر
طويل	تحاول رسما من سليمى دكا دكا خلاء تعفيه الرياح سواهكـــا	عبيد بن الابرص
بسيط	يا دار هند عفاها كل هطـال بالجـو مثل سحيق اليمنة البالـي	" " "
خفيف	ليس رسم على الدفين ببالـــي فلـوى ذروة فجنبي أثـــال	" " "
كامل	حلت كبيشة بطـن ذات رؤام وعفت منازلها بجو بـــرام	" " "
سريع	أمن رسوم نؤيها ناحـــل ومن ديار دمعك الهامـــل	" " "
منسرح	أقفر من مية الدوفـع مـــن خبت فلبني فيحان فالرجـــل	" " "
بسيط	اسمع حديثا كما يوما تحدثـــه عن ظهر غيب اذا ما سائل سـألا	عدي بن زيدالعباد
رمل	لمن الدار تعفت بخـــيم أصبحت غيرها طول القـــدم	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر	مطلع القصيدة	البحر
علقمة بن عبده التميمي	هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلك اليوم اذ نأتك مصروم	بسيط
عمرو بن الأهتم	أجدك لا تلم ولا تزور وقد بانت برهنك الخدور	وافر
عمرو بن معد يكرب	أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع	وافر
عميرة بن جعل	ألا يا ديار الحي بالبردان خلت حجج بعدي لهن ثمان	طويل
عنترة العبسي	تمشي النعام به خلاء حوله مشي النصارى حول بيت الهيكل	كامل
" " "	هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم	"
عوف بن عطية	أمن آل ميّ عرفت الديارا بحيث الشقيق خلاء قفارا	متقارب
القتال الكلابي	عفا النجب بعدي فالعريشان فالبتر فبرق نعاج من أميمة فالحجر	طويل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر	مطلع القصيدة	البحر
قيس بن الخطيم	رد الخليط الجمال فانصرفوا ماذا عليهم لو أنهم وقفوا	منسرح
كعب بن زهير	بان الشباب وأمسى الشيب قد أزفا ولا أرى لشباب ذاهب خلفا	بسيط
" " "	أمن نوار عرفت المنزل الخلقا اذ لا تفارق بطن الجو فالبرقا	"
" " "	بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول	"
لبيد بن ربيعة العامري .	راح القطين بهجر بعد ما ابتكروا فما تواصله سلمى ولا تذر	بسيط
" " "	بلينا وما تبلى النجوم الطوالع وتبقى الجبال بعدنا والمصانع	طويل
" " "	ألم تلمم على الدمن الخوالي لسلمى فالمذانب فالقفال	وافر
" " "	لمن طلل تضمنه أثال فسرحة فالمرانة فالخيال	"
" " "	ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضي أم ظلال وباطل	طويل

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطلع القصيدة	الشاعر
كامل	عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها	لبيد بن ربيعة العامري
طويل	عفا الرسم أم لا بعد حول تجرما لأسماء رسم كالصحيفة أعجما	" " "
كامل	طلل لخولة بالرسيس قديم فبعاقل فالانعمين رسوم	" " "
"	درس المنا بمتالع فأبان وتقادمت بالحبس فالسوبان	" " "
طويل	خليلي امامت يوما وزحزحت منايا كما فيما يرجزه الدهر	المتلمس ، جرير بن عبد المسيح . " " "
طويل	لعمري وما دهري بتأبين مالك ولا جزع مما أصاب فأوجعا	متمم بن نويرة
"	أرقت ونام الاخلياء وهاجني مع الليل هم في الفؤاد وجيع	" " "
وافر	عرفت بأجدث فنعاف عرق علامات كتحبير النماط.	المتنخل الهذلي
سريع	هل تعرف المنزل بالأهيل كالوشم في المعصم لم يخمل	" " "

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر	مطلع القصيدة	البحر
المثقب العبدي	أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كان تبيني	كامل
المخبل السعدي	ذكر الرباب وذكرها سقم فصبا وليس لمن صبا حلم	كامل
المرقش الأصغر	أمن رسم دار ماء عينك يسفح غدا من مقام أهله وتروحوا	طويل
المرقش الأكبر	هل بالديار أن تجيب صمم لو كان رسم ناطقا كلم	سريع
المزرد بن ضرار	صحا القلب عن سلمى ومل العواذل وما كاد لأياً حب ليلى يزايل	طويل
المسيب بن علس	أرحلت من سلمى بغير متاع قبل العطاس ورعتها بوداع	كامل
معاوية بن مالك	أجد القلب من سلمى اجتنابا وأقصر بعد ما شابت وشابا	وافر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشاعر	مطلع القصيدة	البحر
المنخل اليشكري	ان كنت عاذلتي فسيري فحو العراق ولا تحوري	كامل
النابغة الذبياني	كان الظعن حين طفون ظهرا سفين البحر يممن القراحا	وافر
" " "	يا دار مية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الامد	بسيط
" " "	أمن آل مية رائح او مغتدى عجلان ذا زاد وغير مزود	كامل
" " "	عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي واحجار	بسيط
" " "	أهاجك من سعداك مغني المعاهد بروضة نعميّ فذات الأساور	طويل
" " "	عفا ذو حسا من فرتنى فالفوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع	"
" " "	أمن ظلامة الدمن البوالي بمرفض الحبي الى وعال	وافر
" " "	دعاك الهوى واستجهلتك المنازل وكيف تصابي المرء والشيب شامل	طويل
" " "	بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما واحتلت الشرع فالاجزاع من اضما	وافر

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

البحر	مطلع القصيدة	الشاعر
وافر	غشيت منازلا بعريتنات فاعلى الجزع للحيّ المبن	النابغة الذبياني
بسيط	بانت سليمى واقوى بعدما تبل فالفأو من رحبه البريت فالرجل	النابغة الشيباني
كامل	سفعا ظؤارا حول أورق جاشم لعب الرياح بتربه احوالا	مجهول (مفرد)
كامل	واذا تخاوت الى الثرى بمراصهم قلت الشجاع شوى بها والارقم	مجهول (مفرد)

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــــرس

المصـــادر والمـــراجـع

أ ـ الدواويـــن والمجموعـــات :

1 ـ الأصمعي عبد الملك بن قريب ـ الاصمعيات تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون دار المعارف ، القاهرة ، ط/ 3 (بدون تاريخ)

2 ـ الأعشى ، ميمون بن قيس ـ ديوان الاعشى . شرح وتعليق : محمد حسين ، نشر مكتبة الآداب بالجماميزت المطبعة النموذجية (بدون تاريخ) .

3 ـ امرؤ القيس بن حجـــر ـ ديوان امرئي القيس بن حجر الكندي . لابي الحجاج يوسف بن عيسى المعروف بالاعلم ، الشنتمري . تصحيح الشيخ ابن ابي شنب ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1394 هـ 1954 .

4 ـ أمية بن أبي الصلـــت ـ أمية بن أبي الصلت حياته وشعره ، دراسة وتحقيق بهجة عبد الغفور . مطبعة العاني بغداد 1975 .

5 ـ أوس بن حجـــر ـ ديوان أوس بن حجر . تحقيق : محمد يوسف نجم ـ دار صادر بيروت ، ط/ 2 1387 هـ ـ 1967م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

6 - بشر بن أبي خازم
- ديوان بشر بن أبي خازم ، تحقيق عزة حسن ، نشر وزارة الثقافة . دمشق ط/ 2 ، 1972 .

7 - حاتم الطائي
- ديوان حاتم الطائي ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، مكتبة صادر بيروت 1953 .

8 - الحارث بن حلزة اليشكري
- ديوان الحارث بن حلزة اليشكري ، ومعه ديوان عمرو بن كلثوم نشر فريتس كرنكو المطبعة الكاثوليكية . بيروت 1922 .

9 - حسان بن ثابت الانصاري
- ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، تحقيق : عبد الرحمن البرقوقي المطبعة الرحمانية ، مصر (بدون تاريخ) .

10- الحطيئة ، جرول بن أوس
- ديوان الحطيئة ، شرح ابن السكيت والسكري والسجستاني . تحقيق نعمان أمين طه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر . ط/ 1 . 1378هـ . 1958 .

11- الخنساء ، تماضر بنت عمرو
- ديوان الخنساء منشورات دار الحياة بيروت لبنان (بدون تاريخ) .

12 - زهير بن ابي سلمى
- شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ، صنعة الامام أبي العباس احمد بن زيد الشيباني ثعلب دار الكتب العصرية ، 1363 هـ 1944م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

13 - الزوزني ، أبو عبد اللـــه - شرح المعلقات السبع ، تقديم كوجان ، دار الحسين بن احمد بن الحسين اليقظـــة ، بيروت 1969 .

14 - سلامة بن جندل - ديوان سلامة بن جندل ، تحقيق فخـــر الدين قباوة ، مطبعة الاصيل حلـــب ط/1، 1968.

15 - الشماخ بن ضرار الغطفاني - ديوان الشماخ بن ضرار الغطفاني ، شرح احمد بن أمين الشنقيطي مطبعـــة السعادة مصر ، 1957 .

16 - طرفة بن العبـــد - ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق وتحليل ونقد على الجندي ، مطبعة الرسالة ، نشر مكتبة الانجلو المصرية 1378هـ . 1958 .

17 - الطغرائي ، مؤيـــد - ديوان الطغرائي مطبعة الجوائب ، قسطنطنيـــة ، ط/1 . 1300 .

18 - عبيد بن الابـــرص - ديوان عبيد بن الابرص ، تحقيق وشـــرح حسين نصار ، نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر ، ط/1، 1377- 1957م .

19 - عدي بن زيد العبادي - ديوان عدي بن زيد العبادي . تحقيـــق محمد جبار المعيد ، دار الجمهوريـــة بغداد 1965 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

20 - علقمة بن عبدة التميمي

- ديوان علقمة بن عبدة التميمي، للأعلم الشنتمري تصحيح الشيخ ابن ابي شنب. مطبعة جون كربونل، الجزائر. 1925.

21 - عنترة بن شداد

- ديوان عنترة بن شداد، تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، مطبعة شركة فن الطباعة، شبرا القاهرة (بدون تاريخ).

22 - القتال الكلابي

- ديوان القتال الكلابي، تحقيق وتقديم احسان عباس دار الثقافة بيروت، 1381هـ 1961م.

23 - كعب بن زهير

- شرح ديوان كعب بن زهير، صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبد الله السكري نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب 1369هـ - 1950م.

24 - لبيد بن ربيعة العامري

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق وتقديم احسان عباس، مكتبة التراث العربي، الكويت 1962.

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر بيروت (بدون تاريخ).

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
ب	٦	المغريبة	المغريبة
٥	٤	أقلة	أقلّه
١٢	حاشية (٢)	وتموّ الشخصية	وينظر نموّ الشخصية
١٤	" (١)	٥٥ و ٢٢	القلق ص ٥٥ و ٣٢
٢٠	" (٢)	انظر	ينظر
٢٢	" (١)	ومعجم البلدان	وينظر معجم البلدان
٢٦	" (٢)	الغزل	وينظر الغزل
٣٥	" (١)	والتعريفات	وينظر التعريفات
٤٨	" (٣)	ومرجلي : أي	ومرجلي أي :
٥٠	" (٣)	الجاثية . وتفسير	الجاثية وتفسير
٥١	" (٢)	تاريخ	ينظر تاريخ
٥٣	" (١)	....	أسرار
٥٤	" (٣)	انظر	ينظر
٥٧	١٣	مضاض	مُضاض
٥٨	١٢	إذا كانت أخفقت	إذا أخفقت
٦١	١٢	وقبرعتك	وقرعتك
٦٧	٧	به ، تجنز	به ، تجز
٧٢	حاشية (١)	التزفي	المزفي
٧٦	" (١)	فتح القدير ٥ : ٨٩	فتح القدير ٥ : ٩٢
٧٨	٦	(٣)	(٢)
٩٤	حاشية (١)	تاريخ	ينظر تاريخ
٩٨	" (٣)	وتاريخ	وينظر تاريخ
٩٩	" (٣)	انظر النقد	النقد
١٠٥	" (٢)	شعره	ينظر شعره
١٠٦	٧	مردراة	مروراة
١٠٦	حاشية (٣)	ص ١٠٩	ص ١٠٧
١٠٧	١٦	الحصا	الحصى
١٠٧	٢٠	الحصا	الحصى
١٠٧	حاشية (١)	فولة	لحولة
١١٠	١٦	يطعمه	يُطعمه
١١١	٣	الحصا	الحصى
١٢١	حاشية (٢)	شعره	ينظر شعره
١٢٦	١٢	ها هنا	ههنا
١٢٧	حاشية (٣)	.... ص ١٢٥	ينظر ص ١٢٥
١٣٠	١٣	عزو وبناءم	عزو بناءم
١٣٤	١٩	نيئم	نئيم
١٣٦	حاشية (١)	اللسان	ينظر اللسان
١٣٧	٢	خنو	خنوف
١٣٨	حاشية (٢)	انظر الفصل	ينظر الفصل
١٣٩	٤	حريص .... الحرص	حريص كل الحرص
١٣٩	حاشية (٢)	البحث	ينظر
١٤٠	" (٢)	البحث	ينظر
١٤٥	١٠	أبو خيرى مضر	أبو خيري مضر ويلقى
١٥٥	١٧	فبردة	مبرّدة
١٥٧	حاشية (١)	ديوانه	ينظر ديوانه
١٦٠	" (٢)	انظر	ينظر
١٦١	" (٣)	الكرنية	الكرينة
١٦٥	١١	لحل	لخل
١٦٧	١	ها هنا	ههنا
١٧٤	حاشية (٤)	. والجبر	والجبّر
١٧٨	" (٢)	———	البرمنيدس
١٨٠	" (٣)	... الجمال	فكرة الجمال
١٨٤	" (٣)	....	وديوان الهذليين ١ : ٦٩-٧٠ و ٢ : ٧٨-٨١
١٩٢	٤	المنى	المفلى
١٩٨	حاشية (١)	....	والمنصفات هي قصائد أنصفنها
٢٠١	" (١)	أمرار	أصرار
٢٠٦	" (٤)	١ : ١٥٨١	١ : ١٥٨١ والحماسة التجرية ص ٢١٠ .
٢٢١	" (٤)	والزوراء	والزوراء : لعلها بئر .
٢٣١	١٧	معاوية بن الحارث	معاوية بن عمرو بن الحارث
٢٣٤	حاشية (٢)	والحجمة : ...... من	والحجم : من خمسين إلى ستين من
٢٤١	٤	من هنا ...... خليف	من هنا يرى يوسف خليف
٢٥٥	١٦	والفلس	والفَلْس
٢٦٢	١٥	الغمار	الخمار

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ب - المراجع القديمة :

29 - ابن جني ،ابو الفتح عثمان . - الخصائص ،تحقيق محمد علي النجار دار الهدي للطباعة والنشر ،بيروت لبنان ط/2 . (بدون تاريخ) .

30 - ابن رشيق ،ابو علي الحسن القيرواني - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . دار الجيل بيروت لبنان ط/ 6 ،1972 .

31 - ابن قتيبة ،ابو محمد عبد الله . - الشعر والشعراء ،نشر وتوزيع دار الثقافة بيروت ،لبنان : 1964 .

32 - الاصفهاني ،ابو الفرج - الاغاني . تحقيق : عبد الستار فراج ، دار الثقافة بيروت . 1958 .

33 - الجاحظ ،ابو عثمان - الحيوان ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي . مصر،ط/ : 1، 1356 هـ - 1938م .

34 - السيوطي عبد الرحمن - المزهر في علوم اللغة وانواعها ، شرح وتصحيح وضبط : محمد احمد جاد المولى محمد ابو الفضل ابراهيم،علي محمد البجاوي ،دار احياء الكتب العربية ،ط/ 1 (بدون تاريخ) .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

35 - العسكري ،ابو هلال الحسن بن عبد الله . - كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، دار احياء الكتب العربية ،ط: 1 ، 1371هـ - 1952م.

36 - قدامة بن جعفر البغدادي - نقد الشعر ،تحقيق : كمال مصطفى ، مطبعة السعادة ، مصر نشر مكتبة الخانجي ، مصر ، ومكتبة المثنى بغداد . 1963.

37 - المرزباني ،ابو عبيد الله محمد بن عمران . - الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء المطبعة السلفية القاهرة 1343هـ .

38 - الميداني ،ابو الفضل - مجمع الامثال منشورات مكتبة الحياة بيروت 1961 .

جـ - **كتب التفسير والحديث :**

39 - الزمخشري ، محمود بن عمر - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1979.

40 - الطبري ،ابو جعفر محمد بن جرير - جامع البيان عن تاويل القران، تحقيق محمود محمد شاكر ، مراجعة احمد محمد شاكر . دار المعارف ، مصر 1374هـ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

41 - ابن حجر ، الحافظ شهاب الدين . - فتح الباري بشرح البخاري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ط/ 3 . 1378هـ - 1959م .

42 - السيوطي جلال الدين - الجامع الصغير من حديث البشر النذير تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى ، القاهرة الطبعة الاولى 1352 هـ .

د - المراجع الحديثة :

43 - د . اسماعيل ، عز الدين - التفسير النفسي للأدب . دار العودة ودار الثقافة . بيروت . 1962 .

" " " - الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية ، دار العودة ودار الثقافة بيروت 1972 .

44 - البطل ، علي . - الصورة في الشعر العربي . حتى آخر القرن الثاني الهجري ؟ دار الاندلس . الطبعة الثانية . 1981 .

45 - جبايوك ، مصطفى عبداللطيف - الحياة والموت في الشعر الجاهلي ، منشورات وزارة الاعلام الجمهورية العراقية ، دار الحرية للطباعة ، 1397هـ . 1977م .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

45 - د . حسين ، طـه . - في الأدب الجاهلي ، دار المعـارف ط/ 7 . 1968 .

46 - د . خليف ، يوسف - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي . دار المعارف مصر ، ط : 2 . 1966 .

47 - د . خليل ، أحمد خليل - مضمون الاسطورة في الفكر العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط/ 1 . 1973 .

48 - د . الربيعي ، محمـود - نصوص من النقد العربي ، دار المعارف مصر 1976 .

49 - روميـة ، وهـب - الرحلـة في القصيدة الجاهليـة مؤسسـة الرسالة بيروت . الطبعـة الثالثـة 1979 .

50 - د . زكي ، أحمد كمـال - الاساطير ، دار العودة بيروت ، ط/ 2 . 1979 .

51 - زيدان ، جـرجـي - تاريخ التمدن الاسلامي ، منشورات دار مكتبـة الحياة بيروت . 1967 .

" " " - الفلسفـة اللغوية والالفاظ العربيـة دار الهلال ط/ 2 . 1904 .

52 - د . زيعـور ، علـي - التحليل النفسي للذات العربية ، دار الطليعـة بيروت ط : 1 . 1977 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

53 - شيخو ، لويس - شعراء النصرانية ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت 1926 .

54 - د . ضيف ، شوقي - الفن ومذاهبه في الشعر العربي دار المعارف مصر . ط/7 . 1969.

55 - د . عباس ، احسان - فن الشعر ، نشر وتوزيع دار الثقافة مطابع سميا ، بيروت ط/3 (بدون تاريخ) .

56 - د . عبد البديع ، لطفي - التركيب اللغوي للادب ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ، ط/1، 1970.

" " " - عبقرية العربية في رؤية الانسان والحيوان والسماء والكواكب . مكتبة النهضة المصرية ، ط/1 . 1976 .

57 - المشماوي ، محمد زكي - النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية دار النهضة . بيروت . 1980

58 - د . عطوان ، حسين - مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف ، مصر . 1970 .

59 - د . علي ، جواد - المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار العلم للملايين ، بيروت 1968 .

60 - د . القط ، عبد القادر - في الشعر الاسلامي والاموي ، دار النهضة العربية ، بيروت . 1977 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

61 - د . القيسي ، نوري حمودي - الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ط/ 1 . 1390 هـ - 1970 م .

62 - د . مصايف ، محمد - جماعة الديوان في النقد - مطبعة البعث قسنطينية الجزائر ، 1974 .

63 - د . المطلبي ، عبد الجبار . - مواقف في الادب والنقد ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام ، الجمهورية العراقية دار الحرية للطباعة والنشر بغداد 1980 .

64 - د . ناصف ، مصطفى - الصورة الأدبية . دار مصر للطباعة ط/ 1 . 1958 .

" " " - قراءة ثانية لشعرنا القديم . دار لبنان للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ)

65 - د . النويهي ، محمد - الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه . الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة (بدون تاريخ) .

66 - الهادي ، صلاح الدين - الشماخ بن ضرار حياته وشعره دار المعارف . مصر . 1968 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هـ - الكتـــب المترجمـــــة :

67 - ارنولـد هـاوزر. - الفن والمجتمع عبر التاريخ ، ترجمة فؤاد زكريا . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر (بدون تاريخ) .

68 - هل ديورانـــت - قصة الحضارة ترجمة زكي نجيـــب محمود وأخرين ، مطابع الدجوي القاهرة عابدين 1973 .

و - المعـاجـــم :

69 - ابن منظور ، جمــال الدين . - لسان العرب ، دار صادر بــيروت 1955

70 - الزبيدي ، محمد مرتضي الحسيني - تاج العروس من جواهر القاموس . دار صادر بيروت ، 1966 .

ز - الموســوعــــات :

71 - دائرة المعارف الاسلامية - تأليف ، قنسينك وآخرين ، ت محمد ثابت الافندي واخر

72 - الموسوعة العربية الميســرة . - تأليف جماعة من الاسات محمد شفيق غربال . ا للطباعة والنشر - ال

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ح - الـدوريـــات :

73 - مجلة ، الشعر - (المصرية) العدد الثاني ، السنة الاولى ، فبراير 1964 .

74 - مجلة ، الكاتب - (المصرية) العدد الثاني - ماي - 1961 .

75 - مجلة - كلية الآداب - جامعة بغداد - عدد 25 شباط 1979 .

76 - مجلة - المجلة - العدد : 100 - السنة التاسعة - ابريل 1965 .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهـــرس الموضـــوعات

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٢٨٤٢٠٥

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit